

مجلة البيان - العدد ٨ ، صفر ١٤٠٨ هـ / أكتوبر ١٩٨٧

الافتتاحية

.. والحديث مستمر حول حطين

قد يبدو من الغريب أن يتفق الخصوم على الاحتفال بذكرى موقعة كانت نصراً لجانب، وهزيمة لجانب آخر ، وأن يتبارى الجانبان في إعادة دراسة هذه المعركة وتقويمها واستخلاص الدروس منها.

ولكن هذا الأمر لا ينبغي أن يثير العجب إذا كان حول معركة مثل معركة "حطين". فإذا كانت هذه المعركة تمثل علامة بارزة في التاريخ العربي والإسلامي ، وتعتبر وسام فخر واعتزاز لا للقائد الذي قادها - وهو صلاح الدين - فحسب ، بل للأمة التي عمل من أجلها ، وللفكر الذي كان صلاح الدين يمثله ، وهو الفكر الإسلامي - فإنها تعتبر نقطة مهمة في التاريخ العالمي. فعلى الرغم من أن الصليبيين قد انهزموا فيها هزيمة منكرة ، ولم تقم لهم بعدها قائمة تذكر ، إلا أنهم انكبوا على دراسة النتائج التي حصلت نتيجة احتكاكهم المسلح بالمسلمين، وعكفوا على الانتفاع من معرفتهم لأحوال المسلمين عن قرب، ومن تحليلهم للعوامل المؤثرة في انتصارهم وهزيمتهم ، وهكذا شكلت معركة حطين منعطفاً مهماً في حياة الغربيين. وكذلك فإن حوادث التاريخ قد تتشابه ، فاحتلال اليهود لفلسطين ، وإقامتهم دولتهم فيها بمساعدة ومساندة من الغرب الصليبي ، في فترة ضعف وتفارق من المسلمين ؛ وعلى الرغم من مرور أربعين عاماً على ذلك ، ومع هذا ، وعلى الرغم مما ينتاب العرب من مصاعب ومأس ، وما يعوقهم من شتات وتناحر ؛ فإن إسرائيل لازالت جسماً غريباً مرفوضاً من الغالبية العظمى للشعوب المحيطة بها ، ولا يبدو في الأفق أي تغيير في تقبل هذه الشعوب لهذا الجسم الغريب ، على الرغم مما يجري بين الحين والآخر مما يسمى بالصلح أو بإمكانية التعايش.

لهذا كله قد يبدو مفهوماً أن يتنادى مؤرخو الحروب الصليبية إلى مؤتمر لهم في القدس وحيفاً بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين.

ومن جهة أخرى نجد أن أكثر دولة عربية دعت إلى الاحتفال بهذه المعركة ، إن لم يكن غيرة وخجلاً من احتفال الأعداء بها ؛ بينما نحن أولى منهم بذلك ، فلأن الواقع المؤلم الذين نعيشه يفرض علينا أن نجد كل طاقاتنا المعنوية إلى جانب الطاقات المادية في وجه الذين يستهدفون عقيدتنا وأرضنا بل وجودنا كله.

وإذا كان احتفال الدول العربية بهذه المناسبة ينطوي - في جانب منه - على إدراك محمود لأهميتها ومكانتها من مجمل تاريخنا وصراعنا مع قوى الشر ، إلا أنه مما يحز في النفس ، ويؤلم الفؤاد، أن يجيء إحياء هذه المناسبة بصورة تخالف عملياً دلالتها التوحيدية. إذ، أي شيء أكثر ألماً وأقسى أثراً من احتفال كل دولة على انفراد، وبطريقتها الخاصة ؛ بهذه المعركة الخالدة؟

ليس من التناقض ، بل ومن السخرية والهزاء بمعانيها وبالأهداف التي عمل لها قائدها: صلاح الدين ؛ أن نحتمل بها ، بينما نطبق عملياً فكر من هزمهم صلاح الدين ، ونرفع بيننا حدود من أجلهم صلاح الدين ، ونعمق معاني العصبية والإقليمية والطائفية التي حاربها صلاح الدين ؟. ثم أليس من الفكر المشوه الذليل، والترديد الممجوج الثقيل، الذي يمثل غياباً في فهم التاريخ وإصراراً عليه؛ ما نقرأه للأمين العام للجامعة العربية في هذه المناسبة حيث يقول:

"... إن الحروب التي سميت بالصليبية؛ لم تكن حقيقة صراعاً بين الإسلام والمسيحية بقدر ما كانت صراعاً بين مشروع استعماري، وبين مقاومة وطنية، وقد حلل المؤرخون الغربيون هذه المسألة ، ودعوا إلى كثير من الحذر في تصديق النظرية القائلة بأن هذه الحروب تمثل صراعاً دينياً...". هل يدعي حضرة الأمين العام أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية منذ أن ختمت الرسائل برسالة الإسلام إلى يوم الناس هذا كانت سمناً على عسل؟! وهل يستطيع أن يرشد الناس إلى خط السلام المضيء الذي قابلت وعاملت به المسيحية الإسلام في أي بلد جاورته فيه؟! وهل الراهب بطرس الذي أطلق صيحاته المسعورة في جَنَبَات أوروبا ؛ يستعديها ويستنفرها (لاستنقاذ قبر المسيح من الكفار) ، لأن الفرصة لائحة وقد لا تتكرر ؛ لم يكن مسيحياً ، بل علمانياً ملحداً من الهراطقة ، قد حكم عليه "بابا روما" ومجلس الكرادلة بالحرمان لأجل ذلك!!؟.

بل هل كان قادة الحروب الصليبية من أمثال: فريديك بربروس الألماني ، وفيليب أوغست الفرنسي ، وريتشارد قلب الأسد الإنكليزي ، ولويس التاسع ، وغيرهم وغيرهم ؛ نقول: هل كانوا ممن عوقبوا بالحرمان ، وطرّدوا من رحمة الكنيسة؟! ثم ما هذه المصطلحات: مشروع استعماري ... مقاومة وطنية!.

هل كان مصطلح: "الاستعمار" قد خرج إلى حيز الوجود في ذلك الزمن البعيد؟. وهل كانت كلمة "مقاومة" قد ترجمت وأقحمت في اللغة العربية إقحاماً متعمداً ، وأبعدت كلمة "الجهاد" وغيرها ذات المدلول والمفهوم الإسلامي عن طريقها ، إرضاءً لخواطر الغربيين وعبيدهم الذين يدين أمين جامعتنا العربية العتيدة لمرجعيتهم الموثوقة بالولاء!.

وهل كان لكلمة "وطن ووطنية" المدلول نفسه الذي ترسخ في وعي المسلمين خلال المائة سنة الأخيرة؟!.

أين المصطلحات التي لم تنهزم أمام زحوف الصليبيين السوداء، ولم تختف وتغرق في وديان الدماء التي أراقها هؤلاء في استباحتهم كل مدينة إسلامية دخلوها = مصطلحات الجهاد في سبيل الله ، والمرابطة في الثغور للدفاع عن حياض الإسلام ، تلك المصطلحات التي لم تستجلب استجلاباً من لغات اليونان واللاتين ، ولا من أدبيات الشرق والغرب، وإنما كانت نابعة من تراث هذه الأمة ومن دينها وعقيدها.

ليس عندنا شيء نقوله... وليس لنا تاريخ نرجع إليه ونستقي منه العلم بالأحداث وفهمها وتحليلها ، ولذلك فليس لنا إلا "المؤرخون الغربيون" ، وهم قد حللوا - فيما حللوا - هذه المسألة ، وحذروا من تصديق مقولة: أن الحروب الصليبية هي صراع بين الإسلام والمسيحية! وعلينا أن نحذر ، وإلا فالويل لنا إن لم نحذر!!.

وتكملة لتحليل المؤرخين الغربيين الأمناء فقد توصلوا إلى أن مشعلي الحروب الصليبية كانوا متأمرين على عقيدة الصليب ، خارجين على تعاليم الكنيسة ، وما هزموا إلا عقوبة لهم على ذلك! أليس من أعمدة تعاليم السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام): من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر؟!.

إلى هذه النتيجة يجب أن ننتهي ، وإلى مثل هذا التخريف ينبغي أن نصغي ، وبمثل هذا الفكر المريض نحس ذكرى حطين، أليست مناهجنا التعليمية تردد مثل هذا الهراء وتحقنه دون بقية من خشية أو حياء؟.

لا يصلح الناس فوضى لا سَراة (١) لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا...!

لقد كتب الكثير عن حطين وعن صلاح الدين ، ولكن ما نود ترديده وتأكيدده في هذا المكان هو أن صلاح الدين سلك إلى النصر الطرق الصحيحة، وأعد الأمة للمواجهة إعداداً متكاملًا فكان التفكير بالجهاد وإعداد العدة له يسير - جنباً إلى جنب - مع الإصلاح الداخلي لأحوال الأمة ، فعدل كثير من الضرائب المضروبة بغير حق ، وأصلح فكر الأمة ، فحارب العقائد الفاسدة التي تفتت في عضدها وتفرق كلمتها ، وشجع العلماء ، وأشاع العدل.

وقد عكس مؤرخ معاصر للحروب الصليبية (وهو وليم الصوري) تخوف الصليبيين واحترامهم لصلاح الدين في الوقت نفسه، وحسابهم الحسابات للمواجهة معه فقال: "إن أي نمو في قوة صلاح الدين إنما هو مجلبة لتخوفنا ، فهو رجل حكيم عند إسداء الرأي ، مقدم في الميدان ، وغاية في الكرم".

ويلخص بهاء الدين بن شداد صاحب النوادر السلطانية مفتاح شخصية صلاح الدين بقوله: "كان كل كلامه يدور حول الجهاد ، وكل تفكيره منصباً على القتال ، ولم يكن يهتم إلا بمن حمل السلاح ، ولا يعبأ بأي شخص له مقاصد أخرى".

فالفكر الجهادي هو الفكر الذي آمن به صلاح الدين ، ولم يدر بخلده - بعد الاحتلال الصليبي الطويل - أن يضع عن كاهله عبء الجهاد ، ولم تحدثه نفسه أن الأمة قد تعبت من الحرب ، وأنه لا بد من الاعتراف بالأمر الواقع ، والتسليم بحقائق الأمور ، ولم يكن يحركه مثل هذا التفكير ليرسم الخطط ويتصالح مع العدو ، ويلتقي معه على موائد المفاوضات في منتجعات سرية ، أو في ردهات قصوره! لا ، فقد كان -كما وصفه أبو شامة- "... شديد المواظبة على الجهاد ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد ، وفي الإرفاد ؛ لصدق وبر في يمينه ، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسائر ملاذه ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمناً ويسرة" (الروضتين ٢٢٢).

وكانت نظرتة إلى الجهاد ليست نظرة مرهونة بالواقع الذي يحيط به ، ولا تمليها عليه المواجهة مع الصليبيين فحسب ، بل هي نظرة مأخوذة من صلب العقيدة الإسلامية في مراميها ومقاصدها ووسائلها = جهاد دائم لأعداء الله على كل أرض ، وحيث قدر الله له أن يكون. انظر إلى ما يفضي به إلى صديقه ومستشاره: "القاضي الفاضل":

"متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمت البلاد وأوصيت ، وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم ، أتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت" (٢).

غاية واحدة ، وهمة عالية ، أين منها همم كثير من مدعي البطولات في هذه الأيام ، الذين تقاصرت همهم فلم تعد تتجاوز ظل كراسيهم المهزوزة ، وانحصرت اهتماماتهم في غايات ما أبعدا عن طرق العزة والمجد ، ومما أقربها من الضياع الشخصي والاجتماعي.

الهوامش:

١- السراة: جمع سري جاء على غير قياس: وهو الشريف الرفيع ، أو هو اسم مفرد للجميع كنفر ورهط ، وليس بجمع.

٢- الروضتين ، ص ٢٢٢ نقلاً عن البيان / العدد السادس.

إشراف : محمد عبد الله

تحدثنا في العدد الأول من هذه المجلة [ذي الحجة عام ١٤٠٦] عن المجاعة التي تتعرض لها السودان.. واستتكرنا تنافس الأحزاب على الانتخابات ، وأنها أنفقت بضعة مئات من الملايين من الدولارات ، وقلنا:
لو كان زعماء هذه الأحزاب يعيشون مشكلة المجاعة لجمعوا هذه الأموال ، وشكّلوا حكومة هدفها إنقاذ ربع السودان من موت يهددهم..
وقلنا أيضاً:

"لقد بات من المؤكد أن الاتحاد السوفييتي يمول الحزب الشيوعي كما يمول بشكل غير مباشر التمرد في جنوب السودان ، كما بات من المؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية تمويل وتراهن على حزب آخر [من الأحزاب القبلية الكبيرة] ، وهي التي كانت وراء مصالحه نميري مع زعيم هذا الحزب.. وهناك أنظمة تمويل أحزاباً أخرى ، ولا نعتقد أن نتائج المعركة الانتخابية سوف تكون في مصلحة السودان ، مهما كانت النتائج".

وعندما قلنا بأن هذه النتائج ليست في مصلحة السودان مهما كانت هذه النتائج ، ما كنا نجم أو نرمي بالكلام على عواهنه.. وما اعتدنا هذا ولا ذاك والحمد لله.. ولكننا كنا نعتمد على معلومات دقيقة من أهمها: مسيرة ما يسمى بالديمقراطية في منطقتنا ، وقد ثبت فشلها ، والذين ابتدعوا هذا النظام ، هم الذين يحركون [العساكر] إذا تجاوز السياسيون الخطوط الحمراء التي رسمت لهم، أو إذا كانت مسيرة الديمقراطية تخدم تطلعات المسلمين ومن الجدير بالذكر أن الديمقراطية شيء والحرية في ظل النظام الإسلامي شيء آخر ، ولا لقاء بين النظامين.
ونعتمد أيضاً على معرفتنا لتاريخ الأحزاب في العالم العربي ، وهذه الأحزاب صنعها المستعمرون وعملاؤهم في بلادنا.. فهي أحزاب علمانية يعتمد معظم قادتها سياسة المراوغة واللف والدوران وتضليل الشعوب... ويتخذون هذه الأمور كلها ديناً لهم.
والأحزاب السودانية الحاكمة لا تخرج عن هذا الإطار ، فتاريخها يشهد على أنه ليس هناك مناهج تنتهجها ، ولا ضابط يضبطها ، فإذا اصطدمت طموحات القادة اختلفوا مع بعضهم ، وتحالف كل طرف مع أحزاب أخرى ، ولا يتورعون في استخدام أية وسيلة ضد خصومهم ، ويستحيل أن يستمر ائتلاف حزب مع حزب آخر؛ فالثقة مفقودة.. ويبقى الائتلاف طالما بقيت مصلحة ، وإذا شعر أي حزب من هذه الأحزاب بقدرته على الانفراد في الحكم ولو عن طريق انقلاب عسكري لا يتوانى لحظة واحدة في هدم ما أسموه ديمقراطية.. وهؤلاء جميعاً تعاونوا مع النميري ثم يتهمون بعضهم بهذا ، ويتناسون أنفسهم ، ولو حقق الحاكم العسكري السابق لأي حزب ما يريده أو بعض ما يريده لسارت الأمور بينه وبينهم على أحسن ما يرام.. ولكن الحاكم العسكري السابق لا يقل عنهم جشعاً وحباً للسيطرة والهيمنة.

ونعرض فيما يلي بعض التطبيقات والشواهد التي تؤكد صحة ما توقعناه من هذه الأحزاب:

بعد عام من الائتلاف الحكومي استقالت الوزارة وقال الرئيس عن سبب الاستقالة: " رغم وضوح سياسة الحكومة إلا أن الوزراء أخفقوا في تطبيقها.. وقال: إن الترشقات حدثت بين بعض الوزراء ، كما أن بعضهم أساء للحكومة" ، والشاهد هنا قول رئيس الوزراء [.. إلا أن الوزراء أخفقوا...].
وما لم يقله رئيس الوزراء ويبدو أنه لا يريد أن يقوله قاله وزير التجارة السابق محمد يوسف أبو حريرة؛ لقد هاجم الحزب الذي ينتمي إليه- الحزب الاتحادي الديمقراطي- بسبب سيطرة التجار الجشعين عليه ، وهاجم الحكومة لأنها لم تضع حداً للفساد والرشاوي ، وكان الوزير قد شن حملة

ضد من وصفهم بـ "طفيلي السوق" بمن فيهم المهربون وتجار السوق السوداء ، واتهم الحكومة والقصر الجمهوري علناً بالتساهل في قوانين الفساد ، وعند تشكيل الحكومة الجديدة كانت النية متجهة إلى تعيين أبو حريرة في وزارة أخرى ، لكنه سارع وأعلن استقالته.

والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح: كيف كانت الأوضاع العامة في السودان في ظل حكومة الانتلاف؟!.

والجواب على ذلك محزن جداً: ففي الغرب مصادمات ذهب ضحيتها [١٥٠٠] حسب رواية بعض وكالات الأنباء ، و [٢٠٠٠] حسب رواية علي تاج الدين عضو مجلس رأس الدولة لرويتير.. وقال أيضاً-أي: علي تاج الدين- :

إن قيام جماعات مسلحة بسرقة الماشية في مناطق ريفية يشكل أخطر تهديد للأمن ، ومن جهة أخرى فهناك قوات ليبية كانت قد دخلت غرب السودان لمهاجمة تشاد ، وكأن هذه المنطقة دارفور ليست داخل إطار دولة مسؤولة عن أمنها وحدودها.

وفي الجنوب: اشتد بأس قوات ما يسمى بـ "حركة تحرير السودان" التي يتزعمها "قرنق" ، واحتلت "الجكو والبيور" بمساعدة أثيوبيا ، ومن المؤسف أن قرنق يملك أسلحة لا يملكها الجيش السوداني ، بل و لا تملك حكومة الانتلاف المال الذي تسلح به الجيش السوداني الذي يجد نفسه عاجزاً عن حفظ الأمن في الغرب أو الجنوب.

وأصبح السطو المسلح في معظم أرجاء السودان جريمة عادية.. وهناك ندرة في توفر بعض البضائع الضرورية كالسكر والصابون ، وكانت البطيخة الواحدة في شهر رمضان الفضيل تباع بسعر قدره [٣٥ جنيهاً] ، وتحويلات المواطنين من الخارج تناقصت لأن التضخم يرتفع سنوياً بنسبة ٤٠%.. واضطرت الحكومة إلى استيراد اللحم وكانت السودان مشهورة بتصديره.. كما تستورد السكر والنفط.. وعائدات الدولة لا تساوي نصف حاجتها ، ولم ترد الحكومة لصندوق النقد الدولي شيئاً ، أما الصناعات فقد أصيبت بضربة قاتلة ، لأن المصانع السودانية تحتاج إلى [٢٠ مليون دولار] شهرياً والحكومة لا تملك مثل هذا المبلغ حتى ولا نصفه.. أما السكك الحديدية فبعضها قد تعطل ، وبعضها يحتاج إلى صيانة عاجلة ، وهذا من الأسباب التي لا تمكن الجنود السودانييين من أداء واجبهم.. والمجاعة تزداد حدتها ، وتجد الحكومة نفسها عاجزة عن نقل الطعام لبعض المناطق التي تنتشر فيها المجاعة.

في ظل هذه الأوضاع الرهيبة تشكلت حكومة جديدة ، وكانت الوجوه هي الوجوه باستثناء أفراد قلائل ومنهم الذين لا يحظون بثقة الجشعين من التجار ، وهناك صراع مكشوف بين الحزبين الحاكمين ، فالاتحادي يتهم الأمة بتزوير الانتخابات ، وتعيين العناصر الأنصارية في المراكز المهمة في الدولة كالجيش والشرطة.. ويتهم الاتحادي الأمة أيضاً بأنه يحاول الانفراد في السلطة ، ويحاول استقطاب عناصر مهمة من الحزب الاتحادي بقصد تقويضه.

والخلاف بين الحكم والمعارضة على أشده ، ولم يستطع رئيس الوزراء إقناع حزبه بإشراك المعارضة في الحكم..

ومن هذا المنطلق نقول:

إن البدايات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة ، وحكومة هذه حالها عاجزة عن إنقاذ السودان وحل مشكلاته.

والأنكى من ذلك أن الحزبين الحاكمين لهما جذور إسلامية ، وهذه الجذور أكسبتهما شعبية منذ القديم ، فأحدهما يعتمد في شعبيته على المهدي ودعوة المهدي ، والآخر يعتمد على الطائفة الصوفية

الختمية ، ورفع الحزبان شعار القوانين الإسلامية في معركة الانتخابات.. والآن يعارض الحزبان بأسلوب ماكر تحكيم الشريعة الإسلامية ، لأنها قوانين نميري ، فهل هناك إسلام نميري ، وإسلام الاتحادي ، وإسلام المهدي؟ أليس الإسلام واحداً يا دهاقنة السياسة؟!.

والغريب أننا نجد أهل الحل والعقد في كل حزب قسمين: العلمانيون وهم الأغلبية ، وغير العلمانيين وهم قلة ، وفهمهم للإسلام مشوه وغير سليم ، والعلمانيون يعارضون تحكيم الشريعة الإسلامية.. ويتحالفون من أجل الصد عن سبيل الله مع كل عدو للإسلام والمسلمين داخل السودان وخارجه.. ولقد تحالفوا فعلاً في الستينات مع الشيوعيين واليساريين والصليبيين.. وهم يتحالفون اليوم مع الصليبيين والوثنيين ، وقد رفضوا اشتراك المعارضة الإسلامية في الحكم ، وقبلوا الصليبيين والوثنيين ، والمثل يقول: تسألني من تعاشر أسألك من أنت!!.

وقادة هذين الحزبين قادرين على تخدير مشاعر المسلمين أو معظم المسلمين في السودان.. فهم يتحدثون عن سعيهم الحثيث من أجل استبدال قوانين نميري -كما يقولون- بقوانين صادق!!! ويحركون من جهة أخرى حلفاءهم ليعارضوا بشدة سن قوانين إسلامية ، وقد تمضي بضع سنين على هذه الحال.

إن الوضع خطير وخطير جداً في السودان ، فهناك مؤامرات عالمية تستهدف وحدة هذا البلد الطيب ، ويشترك في هذه المؤامرة: الأمريكان ، والسوفييت ، واليهود ، والصليبيون.. وهناك أدلة على ذلك لا يجادل في صحتها مطلع على الأحداث ، ومن يقرأ تصريحات بعض السياسيين والعسكريين السودانييين يجد بأنهم توصلوا لهذه الفئاعة. فقد سئل اللواء الركن عبد الله أبو قرون قائد منطقة بحر الغزال العسكرية عن تورط جهات خارجية بحرب الجنوب؛ فأجاب:

"نحن لا نتحدث عن طلاس ، فهناك إذاعة معروفة تابعة للقوات المتمردة تثبت من داخل الأراضي الأثيوبية ، وهناك مكاتب علنية للمتمردين في عدد من الدول الأوربية. والبعض يقدم الدعم بحجة أن قرنق مسيحي وتجب مساعدته ، والبعض يقدم مثل هذا الدعم بحجة أن حركة المتمردين حركة اشتراكية.. ثم إننا أوضحنا أكثر من مرة وبالأدلة الملموسة أن قرنق يحصل على مساعدات عسكرية من الدول الشرقية والدول الغربية على حد سواء ، وهو يملك الآن أسلحة متطورة كما يملك بطاريات مدفعية مضادة للطيران ، فضلاً عن مدافع ثقيلة...".

[عن المجلة العدد ٣٨٦ تاريخ ١٩٨٧/٧/٧].

ومؤامرة بهذا الحجم من التخطيط والإعداد تتطلب من دعاة الإسلام في السودان أن يوحّدوا صفوفهم ، وينهضوا ليؤدوا الدور المطلوب منهم داخل السودان وخارجه ، ونصيحتنا لهم نلخصها فيما يلي:

١ - ليس هناك إسلام نميري ، وإسلام غير نميري ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، ولا يجوز أن يتقدم العقل على نصوص الكتاب والسنة ، ومن أطلق العنان لعقله القاصر ، وراح يلوي أعناق النصوص لتوافق أهواءه كان ضالاً مضالاً ، وإن زعم بأنه داعية.. وإن طبّق صيته الآفاق.. ونحن ندين الله بمنهج وأصول أهل السنة والجماعة وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة خير القرون المفضلة ، وليس بقول هذا أو رأى ذلك.

٢- ثبت تاريخياً أن هذه الديمقراطية المزعومة في بلادنا لا تخدم الإسلام والمسلمين ، والذين ابتدعوا عندهم من الوسائل ما يمكنهم من قطع الطريق على الإسلاميين إذا تجاوزت هذه الديمقراطية الإطار المرسوم لها كما قلنا في مقدمة هذا المقال ، ومن جهة أخرى فتحكيم شرع الله لا يخضع لرغبة الأقلية والأكثرية ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تقام الحدود ، لأن الأكثرية أرادت ذلك ، وفي دورة أخرى تتغير الأكثرية فتلغى قوانين إقامة الحدود ، والانتخابات لا تعبر بالتأكيد عن

رأي الأكثرية فهناك التزوير ، وهناك الأموال والرشاوى ، وهناك الإعلام ، وهناك الطائفية والقبلية.. وهذه الأمور تلعب دوراً مهماً في اختيار الممثلين ، فقد تختار قبيلة من القبائل شيوعياً لأنه من أعيان القبيلة مع أن جمهور القبيلة من المصلين.

٣- يجب أن يبين العلماء والدعاة في السودان للمسلمين فساد الأحزاب الحاكمة ، ويكشفوا تاريخها الأسود ، وعقائد وأخلاق العلمانيين فيها.. ومواقفهم القديمة والحديثة من مسألة تحكيم الشريعة الإسلامية ، ويفضحوا مصادر تمويل هذه الأحزاب ، ومن جهة أخرى لابد من كشف تحالفات الصوفييين والخرافيين مع العلمانيين.. وكيف يستغلهم العلمانيون في حرب الإسلام والمسلمين؟ وكيف يقدم الصوفيون والخرافيون مصالحهم على كل شيء؟ لقد استغلهم الطاغية السابق أبشع استغلال ، وكان يزعم أنه واحد منهم..

٤- نسأل الله أن يشرح قلوب الذين يحاورون قرنق وغيره للحق ، هؤلاء الذين يقولون له: تحكيم القوانين الإسلامية في الشمال ، وفي الجنوب يختار الشعب ما يريد من قوانين.. ألا يعلم هؤلاء أن الذين صنعوا ثورة "قرنق" لا يقبلون وحدة السودان حتى ولو احتكم الناس فيها إلى شريعة ماركس أو إلى شرائع الغرب؟!!

ومن ثم فقرنق عميل لا يملك من أمره شيئاً ، ولا ندري كيف يحكم بلد عدة شرائع مختلفة والنصارى فيه لا يتجاوز عددهم ٥%؟!!

إلى متى يمضي هؤلاء في المساومات والتنازلات وهم يقرأون قوله تعالى: ((فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَذُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ)) [القلم / ٨ ، ٩]؟

لا بد أن ننصح إخواننا هؤلاء ونفند شبهاتهم ونرد عليهم ردوداً علمية متزنة ، ونحذرهم من مغبة السير في سبل معوجة ، ومن تفسير الإسلام تفسيراً يتناسب مع مواقفهم السياسية الغوغائية المتقلبة. ٥- فهم الواقع المعاصر فهماً دقيقاً ، والتعامل مع هذا الواقع كما يأمرنا جل وعلا دون إفراط أو تفريط.. فالذين ظنوا أن النميري سيحكم لهم شرع الله جهلوا أو تجاهلوا حقائق كثيرة منها: تاريخ النميري ، والعقلية التي يفكر بها ، وحرصه على بطانة معينة وقفت معه في جميع الأطوار التي مر بها.. وهذا الكلام وغيره قلناه أيام النميري ولم نحسن الظن به يوماً واحداً.

والذين يظنون أن النظام الديمقراطي سيحكم لهم الإسلام يجهلون طبيعة النظام الديمقراطي ، أو يجهلون النظام الإسلامي، أو يستخفون بعقول الناس، والذين يظنون بأن الإسلام قوانين تعدل ، وتبقى أحزاب وتجمعات تعرب عن كفرها بالإسلام ، وتتربص به الدوائر، وتجاهر بذلك كله، فهؤلاء مفرطون في جهلهم، وإذا أقيمت الحجة عليهم، وأصروا على مواقفهم السياسية فهم مبتدعون ، نسأل الله لهم الهداية والاستقامة.

وبعد:

هذه هي مشكلات السودان عرضناها باختصار.. ومع قناعتنا بأن وحدة جهود العاملين للإسلام في هذا البلد الطيب سيكون لها أثر فعال لا يستهان به.. مع ذلك فالمؤامرة أكبر من حجم وإمكانات دعاة الإسلام في السودان ، ومن حقهم على إخواننا المسلمين في العالم أن يمدوا لهم يد العون والمساعدة. والمساعدة ليست قاصرة على المال ، ولا نستهيئ بدور المال في مثل هذه المعركة ، ولكن المساعدة تتطلب وجود مؤسسات قوية تعمل في جنوب السودان و غربه ، بل وفي جميع أرجائه ، فما من مكان في هذا البلد الكريم إلا وقد دخله المبشرون.. وهذه المؤسسات يجب أن تشمل التعليم والعلاج الصحي والإغاثة ، والأهم من ذلك كله الحاجة إلى دعاة متفرغين ينشرون الإسلام بين القبائل الوثنية وبين المسلمين الجهلاء..

وعلى العلماء ودعاة الإسلام أن يعقدوا المؤتمرات والندوات التي يفضحون فيها مخططات الأمريكان والسوفييت والنصارى واليهود في السودان.. ويجب أن تنبثق عن هذه المؤتمرات والندوات لجان تعمل وتنشط بصدق وأمانة وأن لا يكون عملها دعاية لحزب من الأحزاب أو جهة من الجهات. وأخيراً: لا ينقضي عجبنا من خوف حكومة الائتلاف من الحبشة مع أن الحبشة عبارة عن جزيرة صغيرة في بحر متلاطم من المسلمين.. ولو كانت المعركة إسلامية حقاً يقودها العلماء والدعاة المتجردون ، وتحرك المسلمون في البلدان المجاورة للسودان فقط كمصر ، وليبيا ، وتشاد ، والصومال ، وارتيريا ، والمسلمون في الحبشة نفسها.. لو كان الأمر كذلك لشعر الصليبيون بحقيقة حجمهم ، وشعر أعداء الله كلهم بصغارهم وهوانهم. والمجلة يسرها أن تتلقى المساعدات للمسلمين في السودان وفي شرق أفريقيا كالصومال وارتيريا وأوغندا، كما يسرها أن تتعاون مع المخلصين لتحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة، والله ولي التوفيق.

أفريقيا وإسرائيل مرة ثانية

أوردت جريدة الأندبندنت في ١٩ / ٦ / ١٩٨٧م نقلاً عن وكالة الأسوشيتدبرس ، النبأ التالي:

ذكرت صحيفة (هآرتس) : أن شركة صناعة الطائرات الإسرائيلية التي تملكها الدولة ستقوم بفتح مركز للتدريب في نيجيريا على الرغم من القطيعة الدبلوماسية بين هذه الدولة الأفريقية وإسرائيل منذ (١٤) عاماً.

ويقول التقرير: إن قائد القوات الجوية النيجيرية كان قد زار الجناح الإسرائيلي في معرض باريس الجوي يوم ١٦ / ٦ / ١٩٨٧م ، فيما يبدو للترتيب لفتح المركز ، هذا ولم تعط الجريدة أية تفاصيل أخرى ، فيما قامت شركة صناعة الطائرات الإسرائيلية مؤخراً بنفي ما جاء بالتقرير. ومما يذكر : أن روابط إسرائيل السرية مع دول أفريقيا السوداء كانت قد شملت تدريب الحرس الرئاسي في زائير ، وتزويد المغرب بالمعلومات في مجال الاستخبارات ، وكذلك إرسال الأسلحة إلى أثيوبيا.

وقد درجت إسرائيل على نفي هذه العلاقات تجنباً للإحراج الذي قد تسببه للدول الأفريقية ، إلا أن المسؤولين قد اعترفوا عبر قنوات خاصة أن الإيماءة إلى هذه العلاقات قد تفتح الباب لعلاقات دبلوماسية مستقبلية.

هذا وكانت نيجيريا من بين تسعة وعشرين دولة تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في أعقاب حرب الشرق الأوسط عام ١٩٧٣م.

ولنا على هذا النبأ الملاحظات التالية:

إن التعاون الجديد المزمع البدء به بين الكيان اليهودي ودولة نيجيريا والذي تحدثت عنه جريدة "هآرتس" الصهيونية يعد إضافة جديدة إلى سجل التعاون الذي سبق وأن شرعت به الدولتان منذ الأعوام التي تلت حرب عام ١٩٧٣ ، وأن هذا التعاون الذي يمثل طفرة أخرى تحققها إسرائيل في مسلسل مخططها الهادف إلى فك عزلتها الدولية على وجه العموم ، وتعميق تغلغلها في هذه القارة على وجه الخصوص ، ذلك المخطط الذي قطعت فيه إسرائيل شوطاً بعيداً يأتي متزامناً مع اشتداد وطأة الهجمات التي تتعرض لها هذه القارة على يد الصليبية العالمية التي أخذت في أيامنا هذه تلبس لبوس الإنسانية المتمثلة في مد يد العون والإغاثة إلى بعض الشعوب المنكوبة في هذه القارة التي

تعيش المحن تلو المحن وتئن تحت وطأة النكبات ، تلك المساعدات التي اتخذت أشكالاً شتى ، من إغراق الأموال وبناء المستشفيات وتوفير المواد الغذائية ، كما أنه يأتي في وقت تكاد تخلو فيه هذه القارة التي شكل المسلمون فيها نسبة لا يستهان بها من أي عمل إسلامي منظم بالمستوى المطلوب يتناسب مع ما تحيكة أيادي الصليبيين واليهود ورببيتهم الشيوعية التي هي الأخرى ماضية في مؤامراتها البشعة ضد شعوب هذه القارة.

إن إسرائيل التي تدرّب الحرس الرئاسي في زائير ذات الولاء الغربي وتتعاون مع دول أخرى غربية الولاء ، هي ذاتها التي تزود النظام الدموي في أديس أبابا ذا الولاء الماركسي "التقدمي" بالسلاح ، كيف لا وهو الذي كان الأداة الفعالة في عملية تهجير يهود الفلاشا في الماضي القريب ، وهو اليوم أداة في تذبذب أبناء شعبنا المسلم في أرتيريا ، وليس هذا الذي تقوم به إسرائيل بغريب على من اطلع على ماضي الشيوعيين ووعى حقيقتهم من خلال مواقفهم المخزية تجاه شعوبهم وأوطانهم ، فطالما التقت مصالح اليهود مع الشيوعيين ، لقد التقت عام ١٩٤٨م عندما انحاز الشيوعيون إلى اليهود وأدانوا دخول الجيوش العربية إلى فلسطين لمحاربة اليهود ، وهكذا فإن إسرائيل لا ترى بدأً من دعم أي نظام ماركسي "تقدمي" كالذي في أثيوبيا ، تجد فيه ضالتها كي تنال من أبناء المسلمين أينما حلّوا. لم يعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولة وأخرى- لاسيما في حالاتٍ كذلك التي مع إسرائيل- يمثل مؤشراً على توقف التعامل بينهما ، بل على العكس من ذلك ، فكثيراً ما تكشف علائق حميمة ولقاءات وزيارات متبادلة ، كانت في طي الكتمان ، بين قادة دول لا يوجد بينها أي نوع من العلاقات الرسمية في الظاهر ، بل القطيعة الكاملة وإشهار العداء أكثر بكثير مما عليه حال كثير من الدول التي تربطها علاقات دبلوماسية كاملة. فلم يعد "فئ" قطع العلاقات الدبلوماسية أو تخفيضها سوى ستار يُسدل كلما دعت الحاجة ، ليكون حاجباً بين الشعب وبين ما يرسم من سياسات ومخططات تخص تلك الدولة ، حتى إذا ما نضج كل شيء رُفع الستار ليووجه الشعب ما فات الأوان لتداركه. إن ما حققته إسرائيل خلال السنوات القليلة الماضية - وما تحققه اليوم أعظم- من أن يطرق عبر أسطر قليلة كهذه ، ولقد سبق وأن تكلمنا في عدد سابق عن التغلغل اليهودي في أفريقيا ، وعن الأمر الذي بات يندب بالخطر من جراء شروع عدة من الدول الأفريقية ، من بينها دول ذات أغلبية مسلمة ، بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ، واليوم وبعد انقضاء أشهر معدودة على نشر ذلك المقال تطالعنا كبريات الصحف بأبناء النجاح الذي حققته وتحققت إسرائيل في مجال كسب أصدقاء لها في أفريقيا ، لقد تمكنت إسرائيل من جر دول جديدة غير التي ذكرت في المرة السابقة إلى صفها ، فقد أعادت دولة "توغو" علاقاتها الدبلوماسية كاملة ، في حين باتت كل من غينيا الاستوائية والغابون على حافة إعادة تلك العلاقات. ويرى المراقبون السياسيون في "سيراليون وأفريقيا الوسطى" مرشحين محتملين للحاق بمن سبقهما. وكان إسحاق شامير (رئيس وزراء إسرائيل) حسيماً أوردته جريدة جروزاليم بوست ، قد رد دعوة وجهت إليه لزيارة غينيا الاستوائية إبان جولته الأفريقية احتجاجاً على عدم إعادة غينيا لعلاقاتها مع إسرائيل على الفور! (١).

ومن المعلوم أن معظم الدول الأفريقية (سوى ثلاثة هي: ملاوي ، ليسوتو ، وسوازيلاند) كانت قد اتخذت مواقف مؤيدة للدول العربية بشأن النزاع مع إسرائيل لاسيما في أروقة الأمم المتحدة ، وذلك في مقابل دعم الدول العربية لها ضد نظام جنوب أفريقيا وحظر تصدير النفط له. وكان هذه الدول فعلاً قد تلقت مساعدات مالية من الدول العربية بلغت ملايين الدولارات إبان فترة ارتفاع عوائد النفط ، وتستغل إسرائيل الظروف الراهنة على أتم وجه ، فهي من جهة تستغل حالة التردّي الاقتصادي الذي عم أغلب الدول العربية لاسيما النفطية منها وعجزها عن مواصلة دعمها لهذه الدول بالشكل

الذي كانت عليه إبان ما يسمى بـ "طفرة البترول" ، فلم يعد هناك ما يبهر بقاءها إلى جانب العرب ، فقد انحلت الأصرة التي كانت تربط الطرفين (الأصرة المالية) ، وهي من جهة ثانية تتمتع بما آلت إليه أحوال الدول العربية من اضطرابات وفوضى وانقسامات في الآراء السياسية فيما يتعلق بمستقبل العلاقات مع إسرائيل وطريقة التعايش معها ، تلك الفوضى وذلك الانقسام المعلن الذي وصل ذروته في أعقاب الزيارة التي قام بها الفرعون الصغير إلى فلسطين المحتلة وما تلاها من لقاءات متبادلة معه معلنة وغير معلنة مع بعض العرب ، في ظروف كهذه وجدت إسرائيل ضالتها ، فأخذت تتحرك في كل صوب وجهة من أجل بلوغ مراميها ، وبدأت إسرائيل تعرض خدماتها المختلفة لهذه الدول التي هي بأمرس الحاجة إليها ، فتارة بعرض التكنولوجيا ، وأخرى بالتعاون في المجال الأمني ، وثالثة في مجال الزراعة ، وما إلى ذلك من أساليب الجذب والإغراء.

ولن تثار دهشتنا إذا ما علمنا أن دولة كنيجيريا ذات الغالبية المسلمة تستعين بمئات من الخبراء اليهود الذين يقومون بأعمال الاستشارة والتدريب (٢). وعلى الرغم من وجود هذا العدد الضخم من اليهود على أرضها فإن المراقبين الغربيين يرون أنه من غير المرجح أن تُقدم نيجيريا على تجديد العلاقات مع إسرائيل رسمياً ، وهي التي لم يمضِ علي انضمامها إلى منظمة المؤتمر الإسلامي إلا فترة قصيرة ، وهكذا يتعامل النظام في نيجيريا مثله مثل كثير من الأنظمة التي ابتليت بها الشعوب الإسلامية دولياً بغير الوجه الذي يطل به على شعبه ، ألا ما أحوج المسلمين العاملين منهم على الساحة الإسلامية على وجه الخصوص اليوم أكثر من أي وقت مضى للانتباه إلى ما يحاك ضدهم في الخفاء من أمور هي أليق ما تكون بمستقبل كيانهم ، بل و بوجودهم ، ألا يُعد عمل كهذا حراسة في سبيل الله وحفاظاً على ممتلكات المسلمين من أن تؤول إلى أيادي المجرمين؟! بلى والله. إن على المسلمين أن يرقوا بأفكارهم وبتقويمهم لمكر أعدائهم ، وأن يكونوا بمستوى الكمائن والمكائد المعدة لهم.

الهوامش:

١- جريدة الأندبندنت ٢٣ / ٦ / ١٩٨٧م.

٢- الأندبندنت ٢٣ / ٦ / ١٩٨٧م.

بأقلام القراء الأخوة

عبد العزيز الشرقي _ بريطانيا

إن الأخوة في الله منزلة عظيمة تصفي النفوس، وتجمع القلوب، وعلى علو مكانتها لم يزل الأدياء يحكون المحبة في الله وإنما هي محبة في الشيطان، وإلا فكيف تكون محبة في الله وليس فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؟!.

لقد خاب قوم وخسروا، ظنوا أن مجرد الميل القلبي لأحد من الناس علامة الأخوة في الله، وضل آخرون أرادوا بزعمهم أن يخرجوا المحبة من العبادات، ويجعلوها مجردة، يريدونها محبة قائمة بذاتها، لا ترتبط بروابط، ولا تحكمها قيود.

وغالب من ترى ممن يتحدث عن الحب ومعانيه ، إنما ينطلقون من هذا المنطلق ، ولما ضاق عليهم الأمر بعد أن كان رحباً ، قصرُوا الحب على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وضاق الحب بمعانيه السامية الشمولية والواسعة التي تملأ ما بين السماء والأرض ، وأصبح لا يسع إلا أربعة أمتار مربعة تلك هي مساحة الفراش!.

وكان الإعلام الخبيث المُوجّه لهدم دين هذه الأمة هو الذي تولى كبر هذه الخطيئة. وإذا أردت أن تعرف مبلغ الرزية فسل أحد الناشئة ممن رباهم الإعلام الخبيث ، سله ما هو الحب كما تتخيله؟ سوف تسمع كلاماً مخجلاً. وهل على هذا الناشء من تثريب ، وهو يشاهد في الرائي يوماً أن الحب علاقة بين الذكر والأنثى تؤدي مهما تعددت الطرق إلى الفراش؟ ، وتسمع بعد ذلك من يقول: إن الرائي يرشد الأمة إلى الفضيلة! نعم ، يعنون بالفضيلة: كل ما يأتي من الغرب الفاجر المتحلل ، ويعنون بالتخلف والرجعية: كل ما ورثوه من آبائهم وأسلافهم من دين وثقافة وتراث. أبعد ذلك نطمع أن نُنصر على عدونا؟ ، أو أن يكشف ما بنا إذا كان من عمّوه على أدبنا يقول: لا بد أن نتبع الغرب بخيره وشره ، بلوه ومره ، فإن الخير كل الخير في الغرب ، والشر كل الشر في الشرق؟ ، فماذا نتوقع؟

وهذه قِرَدَتُنَا! اتبعت الغرب في كل شيء إلا ما ينفع ، وتخلت عن موروثاتها إلا ما يضر. كلُّ يدعو للإصلاح ، وكلُّ يريد التغيير ، ولكن الخلاف. أي حال نريدها ونسعى إليها؟

هل هي مزيدٌ من التحرر والانطلاق في ركب الحضارة الذي سبقنا بقرون ، أم العودة إلى ديننا والتمسك به؟ ، بمعنى آخر ؛ الذوبان أو التفرد؟ ، التبعية أم القيادة؟

أي حال نريد؟ وايم الحق لئن اتبعنا الغرب وأعرضنا عن ديننا إنا إذاً لخاسرون! ما قامت أمة إلا على عزة بنفسها ، أما نحن فتركنا سبب عزتنا وابتغيينا العزة عند أعدائنا. نستقي من أعدائنا مناهج التربية والتعليم والإعلام.

الإسلام والجاهلية

عودة العصبية من جديد

محمد الناصر

ج - عودة العصبية من جديد:

تحدثنا فيما مضى عن أثر هذا الدين الحنيف في تنويم العصبية ورواسبها ، وكيف أن أصحاب رسول - صلى الله عليه وسلم - سَمَوْا بأنفسهم فوق تقاليد الآباء، وأعراف الأجداد. إلا أننا نلاحظ عودة العصبية ، عندما كان وازع العقيدة ضعيفاً.. وبذور الإيمان لم تزدهر بعد.. والتربية القرآنية لم تلامس بعض القلوب.. وذلك في مظاهر متعددة برزت في:

١- حروب الردة.

٢- العصر الأموي.

٣- أحقاد الشعوبية.

٤- عصبية القومية والوطنية في العصر الحديث.

١- حروب الردة:

إن الحديث عن فتنة الردة ليس بالأمر السهل إذا اختلطت فيها المفاهيم ، فتلونت العصبية مع ضعف أثر الدين بميل نفوس الأعراب إلى حياة الفوضى والغزو ، وحنينهم إلى ماضٍ قريب أفوه قروناً متطولة..

لقد كانت النزعات بين المرتدين ليست واحدة ، وكانت شعاراتهم متباينة ، يجمعها التفاف حول متنبئين كذابين ، هم يعلمون كذبهم ، إلا أنها عُبِيَّةٌ (١) الجاهلية ، وعصبية القبيلة لأحد أبنائها وبتنن الوثنية الذي عاد من بعض الوجوه..

"لما توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق في المدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون عن أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة ، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في "صحيح البخاري" عن ابن عباس ، وكانت ثقيف بالطائف قد ثبتوا على الإسلام...".

"وقد روي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ومن حديث القاسم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجمال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- كأنهم معزى مطيرة في حُش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة..." (٢).

"وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ، ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة ، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة الأسيدي ، وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي.. وارتدت ربيعة.. وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة الكذاب... وارتدت سليم مع الفجأة ، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة... (٣).

اختلاف الشعارات والنزعات بين المرتدين:

"جعلت وفود العرب تقدم المدينة: يقرؤون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع عن دفعها للصديق ، ومنهم من احتج بقوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)). قالوا: فلنسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلته سكن لنا (٤).

لقد غاب عن بال هؤلاء: أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وعندما عقد الصديق- رضي الله عنه- لواء الجيش لخالد بن الوليد ، أوصاه وبين له وضع القبائل ، إذ يقول له: "سر في أصحابك على تعبئة جيدة ، فإذا لقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا لك ولا عليك ، متربص دائرة السوء ، ينظر لمن تكون الدبرة" (أى: النصر والغلبة) فيميل مع من تكون له الغلبة ، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم (٥). وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم.. ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه..

وقد روى الجماعة سوى ابن ماجه عن أبي هريرة: "أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً- وفي رواية: عقالاً- كانوا يؤدونه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق" (٦).

وبعد عودة جيش أسامة بن زيد ، عقد أبو بكر الألوية ، فعقد أحد عشر لواء.. عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ، فإذا فرغ ساروا إلى مالك بن نويرة إن أقام له ، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة... إلخ (٧).

ولقد عرض الصديق على كبار الصحابة قيادة الجيش فأبوا عليه ذلك وكانوا يطمحون للشهادة... "دعا أبو بكر زيد بن الخطاب لذلك ، فقال: يا خليفة رسول الله قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم أرزقها ، فأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه ، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه ، فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فقال مثل ما قال زيد ،

فدعا سالماً مولى أبي حذيفة ليستعمله فأبى عليه ، فدعا أبو بكر خالد بن الوليد فأمره على الناس "(٨)... واستشهد هؤلاء الصحابة الذين اعتذروا عن القيادة -رحمهم الله جميعاً- بعد هذا العرض السريع لفتنة الردة وانتقاض القبائل على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مع اختلاف النزعات والشعارات ، نلاحظ أمرين واضحين ، هما:

- ١- قوة العصبية في نفوس الأعراب.
- ٢- تعالي أصحاب الإيمان على هذه العصبية من الصحابة ، (وقسم من أهل القبائل) وقفوا لقومهم محاربين مقاتلين كما سلاحظ ذلك..

العصبية راسخة الجذور في الجزيرة العربية:

والمنتبع لحروب الردة ، يجد أن سواد الأعراب لم يدخل الإيمان قلوبهم ، ولقد وصفهم القرآن بذلك: ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً)) [الحجرات: ٤].

"هؤلاء الأعراب وقف معظمهم من الدين الإسلامي بالذهنية المغلقة المتعصبة التي لا تدرك معنى الدين؛ ((الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)) [التوبة: ٩٧].

"كانوا يعدون الرسول رجلاً أوتي السلطان على العرب؛ فيطيعونه على أنه رئيس مقتدر...".

"وكان العرب المسلمون ينظرون إلى الأعراب المتبدين نظرة حذر وارتياح، وكانوا لا يرتضون لأعرابي تحضر أن يتبدي... وكان للقبيلة الواحدة حاضر وبادية، والتمازج حاصل بين سكنة الحواضر وسكنة البوادي.. وكان الرسول الكريم يفرق بين الأعراب الموغلين في الصحراء ، والأعراب المقيمين في الضواحي والمستجيبين لدعوة الإسلام.."(٩).

كان الأعراب بعيدين عن التربية المباشرة ، تربية العقيدة والإيمان ، كانت فترة الإعداد غير كافية لاقتلاع رواسب الجاهلية الموغلة في نفوسهم. إن جذور العصبية عريقة ، والتعلق بعبادات الغزو والنهب والفهم لحياة الفوضى ، وكرههم للطاعة وحياة الانضباط ، كل ذلك مع ضعف العقيدة سبب ردة عنيفة في جزيرة العرب..

وسوف أستعرض بعض المواقف التي تجلّي لنا هذا الأمر :

عندما واجه خالد بن الوليد -رضي الله عنه -بجيوش المسلمين طليحة الأسدي أسر حبال بن أبي حبال ، ولما أراد المسلمون أن يبعثوا به إلى أبي بكر الصديق قال: "اضربوا عنقي ولا تُروني محمديكم هذا"؛ فضربوا عنقه(١٠).

نزل عمرو بن العاص وهو عائد من عُمان على سيد بني عامر (قرة بن هبيرة القشيرى) ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال قرة لعمرو: "إن لك عندي نصيحة وأنا أحب أن تسمعها. إن صاحبك قد توفي. قال عمرو: أو صاحبنا هو؛ لا أم لك- يعني: دونك؟ قال له قرة: وإنكم يا معشر قريش كنتم في حرمكم تأمنون فيه ويأمنكم الناس ثم خرج منكم رجل.. فلما بلغنا ذلك لم نكرهه، وقلنا: رجل من مضر يريد يسوق الناس، وقد توفي، والناس إليكم سراع، وإنهم غير معطيكم شيئاً؛ فالحقوا بحرمكم تأمنون فيه(١١).

وعندما اقترب عمرو من مشارف المدينة لقيه عيينة بن حصن خارجاً من المدينة ، فقال له: ما وراءك يا عيينة؟ قال له: يا عمرو استوبنا نحن وأنتم ، فقال له عمرو: كذبت يا ابن الأخابث من مضر. ثم لحق عيينة بطليحة الأسدي(١٢).

هذا هو منطق الجاهلية ورجسها، وعقلية مشايخ القبائل، ولننظر في مواقف عجيبة صدرت عن أصحابها خلال حرب اليمامة.. مع مسيلمة الكذاب وقومه.

"كان (الرجال بن عُنْفُوَة) به من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير شيء عجيب.. وفد على رسول الله مع قومه وكان من أكبر من أضل أهل اليمامة حتى اتبعوا مسيلمة ، وكان قد أرسله الصديق لأهل اليمامة يدعوهم إلى الله ، فارتد مع مسيلمة ، وشهد له بالنبوة.. سُمع الرجال هذا وهو يقول: "كباشان انتطحا ، فأحبهما إلينا كبشنا"(١٣). ضلال عجيب ، وعصبية قاتلة أوردته المهالك.

و ها هو مسيلمة يقف مخذولاً أمام كتائب الإيمان ليقول لقومه في حديقة الموت: "اليوم يوم الغيرة.. إن هزمتم تستنكح النساء سبيات.. فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم"(١٤). وبقوة الحسب ومجد العشيرة يستثيرهم محكم بن طفيل أكبر مؤيدي مسيلمة -خذله الله- إذ يقول: "ما كان عندكم من حسب فأخرجوه"(١٥).

"قال قائل لمسيلمة: يا أبا ثمامة أين ماكنت وعدتتا؟ (وذلك بعد أن قتل محكم بن طفيل) قال الكذاب: أما الدين: فلا دين ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم ، فاستيقن القوم أنهم على غير شيء"(١٦). وأخيراً: أسوق الخبر التالي ، وهو يدل على عصبية عجيبة لا تدانيها إلا عصبية ما قبل الإسلام: "جاء رجل إلى اليمامة وقال: أين مسيلمة؟ ؛دلوه عليه ، فقال له: من يأتيك؟ قال: رجس. قال: أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة ، فقال: أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر ، واتبعه هذا الأعرابي الجلف- لعنه الله -حتى قتل معه يوم عقربا ، لا رحمه الله"(١٧).

هكذا نلاحظ أن العصبية الجاهلية برزت قوية جائرة، سببت فتنة أريقت لها دماء، وأزهقت فيها أرواح... والإسلام ينادي: "دعوها؛ فإنها منتنة" على لسان رسوله -عليه أفضل الصلاة والسلام-. ومن مستلزمات الجاهلية ، والحياة القبلية كما مر معنا في الشعر الجاهلي : حياة الغزو ، وأحياناً على بكر أخينا ، وهذه النفسية ظهرت خلال فتنة الردة واضحة.

قدم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس على الصديق يطلبان جعلاً ليخذلان من وراءهما من القبائل ، فرفض الصديق ذلك ، وبعد عودتهما شن خارجة بن حصن (أخو عيينة) غارة على المدينة المنورة ، فخرج إليهم الصديق بمن معه من المسلمين وهزمهم في ذي القصة(١٨). وهذا الفجاءة من بني سليم كان قدم على الصديق وزعم أنه أسلم ، وسأله أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة فجهز معه جيشاً ، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله.. فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرده وقد جمعت يداه إلى قفاه وقُتل.

من شحت نفوسهم بدفع الزكاة:

وهناك بعض المرتدين امتنعوا عن دفع المال وتأدية الزكاة لخليفة رسول الله.. قال الأشعث بن قيس لأبي بكر الصديق:

"والله ما كفرت بعد إسلامي ، ولكني شحت على مالي" ، وذلك عندما جئ به وبقومه من أسرى كندة بعد هزيمتهم.. وقال وفد كندة أيضاً نفس القول: "والله ما رجعنا عن الإسلام ، ولكننا شحنا على أموالنا"(١٩).

"وكان الذين حبسوا صدقات قومهم وفرقوها بينهم مالك بن نويرة ، وتيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس التميمي ، وكذلك فعل حذيفة بن بدر الفزاري ، ومثله بنو سليم ، وحاولت طيء أن تقلد جيرانهم بني أسد إلا أن عدي بن حاتم رفض ذلك وأقنع قومه ، وقدم بالصدقات على أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-(٢٠).

الغزو وحياة الفوضى:

وهكذا نلاحظ أن العرب الذين كانوا يأنفون من الانصياع إلى سلطة واحدة ، صُعب عليهم أن يخضعوا لرجل من قريش يؤدون إليه أموالهم. وهذا شاعر كندة حارثة بن سُراقة يقول:

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا فيا قوم ما شأنني وشأن أبي بكر؟

أيورثنا بكرةً إذا مات بعده فتلك إذن والله قاصمة الظهر (٢١)

جاءت سجاح بمن معها من قبيلتها "تغلب" من الجزيرة وقد ادعت النبوة ، وهي من نصارى العرب ، ولما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها ، فاستجاب لها عامتهم ، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي ، وعطار بن حاجب.. ثم اتفق أتباعها على قتال الناس فقالت لهم فيما تسجعه: "أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب". ثم قصدت اليمامة لتأخذها من مسيلمة.

واتفق الكذابان ؛ "وتزوجها مسيلمة وأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها... وقد نادى مؤدنها: إن مسيلمة قد وضع عنكم صلاتين مما آتاكم به محمد- يعني :صلاة الفجر وصلاة العشاء... ثم انتنت راجعة إلى بلادها الجزيرة وأقامت في قومها بني تغلب.."(٢٢).

إغارة ونهب وفوضى... وحنين إلى مظاهر الجاهلية تلك. ولقد قال أحد أتباعها (عطاء بن حاجب) بعد أن رجع إلى الإسلام في سجاح (٢٣):

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراً

فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالكفر أغوانا

دعاة كذبة ، ما كان يمكن أن يصدقوا لو كانت روابط الإيمان قوية ، وجذور الدين راسخة.

حفظه القرآن ، وأصحاب الإيمان:

هؤلاء الأتقياء الأبرار ، هم الذين حسموا الموقف في هذه الفتنة ، وارتفعوا فوق التقاليد والأهواء ، فقد حاربوا قومهم وقبائلهم مع كتائب الإيمان..

ولقد استمر القتل في الصفوف من حفظه القرآن في اليمامة ، "وجعل منادي المسلمين ، ينادي: يا أهل القرآن فيجيبون المنادي فرادى ومثى ، فاستمر بهم القتل؛ فرحم الله تلك الوجوه"(٢٤)- كما روي عن عمر- رضي الله عنه- و هو يذكر تلك الأيام.

"وصبر الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم.. وكان جملة من قتلوا في حديقة الموت وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وقيل: أحد وعشرون ألفاً (من المرتدين) ، ومن المسلمين: استشهد ستمائة ، وقيل :خمسمائة؛ فانه أعلم ، وفيهم من سادات الصحابة أمثال: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي ، ومنهم: زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب لأبيه ، ومنهم: أبو دجانة ، ومنهم: عباد بن بشر الأنصاري ، وأبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم..."(٢٥)-رحمهم الله أجمعين-.

كانت المعارك ضارية ، حتى أن المسلمين تراجعوا عدة مرات أمام بني حنيفة ، إذ جاء الخلل إلى الصفوف من الأعراب ، وعندها صاح أحد أصحاب رسول الله (ثابت بن قيس) -رضي الله عنه:- أخلفنا يا خالد.. فقال: ذلك إليك ، فنادى في أصحابك ، فأخذ الراية ونادى: يالأنصار.. فتسللت إليه رجلاً رجلاً.. أربعمئة رجل لا يخالطهم أحد.. ونادى خالد: ياللمهاجرين.. فأحدقوا به ، ونادى عدي ومكنف بن زيد الخيل الطائي لطيء؛ فثابت إليهما طيء وكانوا أهل بلاء حسن ، وعزلت الأعراب ناحية...

ويكمل الرواية رافع بن خديج فيقول: "وإنما كنا نؤتى من قبل الأعراب.. وأجهضهم أهل السوابق والبصائر ، فهم في نحورهم.." (٢٦). إن العقائد تقاس بالابتلاء والشدائد ، وعامة الناس لا يجدون

نفعاً في هذه المواطن ، وما أجدر الدعاة أن يستفيدوا من مثل هذه الدروس.. أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأهل السوابق على قلة عددهم هم الذين قلبوا ميزان المعركة.. وكثرة الأعراب من المسلمين سرعان ما كانوا يتراجعون عندما تعضهم السيوف.

لقد وقف عدي من قومه موقفاً صلباً مؤمناً ، وحارب إلى جانب خالد بن الوليد ، ولقد قاتل المسلمون من بني سليم المشركين من قومهم ، فانهمز الأعراب من المرتدين (من بني عبس وذبيان ومن معهم من مدد طليحة لهم بابنه حبال) الذين أغاروا على المدينة ، وقتل حبال ، وكان أول الفتح ، وذل بهذه الموقعة المشركون ، وعز المسلمون ، عندها وثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوه ، وفعل من وراءهم كفعالهم ، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.. وجعل خالد -رضي الله عنه- بعد أن هزم طليحة وأسدأ يتردد شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا.."(٢٧).

وكان ابن عمرو اليشكري من أشرف اليمامة ، وكان مسلماً يكتم إسلامه ، وكان صديقاً للرجال ، فقال شعراً ، فشا في اليمامة منه هذه الأبيات(٢٨):

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| يا سعاد الفؤاد بنت أثال | طال ليل بفتنة الرجال |
| فتن القوم بالشهادة (٢٩) والله | عزيز ذو قوة ومحال |
| إن ديني دين النبي و في القوم | رجال على الهدى أمثالي(٣٠) |
| أهلك القوم محكم بن طفيل | ورجال ليسوا لنا برجال(٣١) |
| قلت للنفس إذ تعاضها الصبر | وساءت مقالة الأقوال |
| إن تكن ميتتي على فطرة الله | حنيفاً فإنني لا أبالي |

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكماً وأشرف أهل اليمامة ، فطلبوه ، ففاتهم ولحق بخالد بن الوليد ، فأخبره بحال أهل اليمامة ودلّه على عوراتهم.

إنه الإيمان يستعلي في نفس ابن عمرو اليشكري ، جعله يضحّي بقومه في سبيل دينه.

دروس وعبر:

- هذه هي حروب الردة ، فتنة عمياء ، وعصية هوجاء ، إلا أنها لا تخلو من عبر وعظات..
- ١-العصية خطيرة خبيثة من فتن الجاهلية ، تتلون وتخدع أصحابها ، فلا يرون الحق ، ويدافعون عن الباطل ، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً.
 - ٢-التعلق بالمال والمتاع الزائل ، مع ضعف الإيمان وغيبش التصور أودى ببعض المرتدين المهالك ، فشحت نفوسهم عن دفع الزكاة.
 - ٣-إن قوة الإيمان ، وفهم العقيدة ، من هدي الإسلام.. الذي يصنع العجائب... وهذا ما ظهر في موقف الصديق وصموده ، وعدم تهاونه في أداء الزكاة ، ولقد قرر بحزم أن يحارب المرتدين ، وأن يرسل جيش أسامة ابن زيد إلى تخوم بلقاء والشام ، "والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين؛ لأجهز جيش أسامة..."
- وظهرت مواقف حفظة القرآن وأصحاب الإيمان عظيمة غيّرت مجرى التاريخ..
- ٤-إن مهادنة المشركين باسم المصلحة وضعف الإمكانيات ليس له ما يبرره ، وواقع الصديق وما كان فيه هو وأصحابه- رضي الله عنهم أجمعين- من ضيق وشدة ، وانتفاض العرب ، ما جعله يتنازل عن حق من حقوق الله ، ولا أن يسالم أو يساوم في دين الله.
- إن مواقف الصحابة تنفي علينا في هذا الزمن كل التواء وخداع ، وجرأة على الفتوى باسم الدين.

- ٥ - إن العودة إلى التربية الصافية ، إيمانية خالصة ضرورة ملحة ، وفرض محتّم ، ينفذ المسلمون مما هم فيه من تسيب وضياع وانهازام.
- ٦ - إن القلة المؤمنة هي رصيد الشدائد ، وعماد كل نهضة جادة وصحوة يقظة ، مادامت (هذه النخبة) متمسكة بكتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم - كما فهمها سلف هذه الأمة.
- ٧ - صورة الردة تتمثل بإيجاز في:
"أن العرب افتقرت في ردتها ؛ - فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا: لو كان نبياً لما مات. - وفرقة قالت: نؤمن بالله ولا نصلي. - وطائفة أقرّوا بالإسلام وصلّوا ، ولكن منعوا الزكاة. - وطائفة شهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكن صدّقوا مسيلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم- أشركه معه في النبوة.. ولم يشكّ أحدٌ من الصحابة في كفر من ذكرنا ووجوب قتالهم إلا مانع الزكاة.. ثم زالت الشبهة عن الصحابة- رضي الله عنهم- وعرفوا وجوب قتالهم؛ فقاتلوهم" (٣٢).
- و ها نحن في هذا العصر نرى مَنْ ينكر الزكاة ، ويجحد أركان الإسلام ، ويتفلت من تحكيم شرع الله ، ثم يزعم أنه مسلم ، ويجد من يفتي له بإسلامه ، مادام يتلفظ بالشهادتين ، ولو لم يأت بأي عمل من أعمال الإسلام ، فأى عجب أكثر من هذا!؟!

الهوامش:

- ١ - عبية الجاهلية: كبرها ونخوتها.
- ٢ - البداية والنهاية لابن كثير: ٦ / ٣٠٤.
- ٣ - المرجع السابق: ٦ / ٣١٢.
- ٤ - المرجع السابق: ٦ / ٣١١.
- ٥ - الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة ، للشهيد المحدث المؤرخ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الاندلسي (٥٦٥ ٦٣٤ هـ) تحقيق ونشر د. أحمد غنيم (ص ٦٧).
- ٦-٧ - البداية والنهاية: ٦ / ٣١١ ، ، ٣١٥.
- ٨ - حروب الردة: الكلاعي (ص ٥٦ ٥٧).
- ٩ - الشعر الجاهلي ، د. يحيى الجبوري ، ؟، ٣٢٣٦.
- ١٠ - حروب الردة: الكلاعي ، ص ٧٤.
- ١١ و ١٢ - حروب الردة. الكلاعي ، ص ٨٥ ، ٨٦.
- ١٣ - انظر البداية والنهاية ، ٦ / ٣٢٣ ، وحروب الردة ، ص ١٠٤.
- ١٤ - البداية والنهاية ، ٦ / ٣٢٤.
- ١٥ و ١٦ - حروب الردة. الكلاعي ، ص ١٤٣ و ١٤٥.
- ١٧ و ١٨ - البداية والنهاية ٦ / ٣٢٧ ، ٣١٣ ، ٣١٩. وحروب الردة: ص ٥٣ ، ٥٤ و ٣٩ و ٤٠.
- ١٩ - انظر حروب الردة: الكلاعي ، ص ٣٢٨ ، ٤٤؟٥٠؟٢٢٦.
- ٢٠ و ٢١ - انظر حروب الردة. الكلاعي ، ص ٢٣٨ ، ٤٤؟٥٠؟٢٢٦. وانظر رواية ابن كثير للأبيات ٣١٣/٦ ففيها بعض الاختلاف.
- ٢٢ - البداية والنهاية ٦٠/٣٢٠.
- ٢٣ - الإصابة لابن حجر: ٢ / ٤٧٧.
- ٢٤ - انظر حروب الردة للكلاعي ، ص ١٧٧.

- ٢٥ - انظر البداية والنهاية ، ٦ / ٣٢٥ وما بعدها .
 ٢٦ - انظر حروب الردة ١٣٣١٣٨ ، والبداية والنهاية: ٦ / ٣٢٤ ،
 ٢٧ - البداية والنهاية ٦ / ٣١٣ ، ، ٣١٩ ،
 ٢٨ - حروب الردة: الكلاعي ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ٢٩ - كان قد شهد (الرجال) لمسيلمة بالنبوة.. ففتن الناس .
 ٣٠ - لم يصرح باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما يعرض بأن لا نبي سواه وأن مسيلمة مفتر على الله .
 ٣١ - محكم بن طفيل من أكبر أعوان مسيلمة .
 ٣٢ - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

التجديد في الإسلام

(٨)

الحركة التجديدية الحديثة

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إذا كنا عرضنا لحال المجتمع المسلم منذ عهد عمر بن عبد العزيز ، وحتى عهد شيخ الإسلام ابن تيمية.. فيا ترى ماذا سنقول عن الحياة الإسلامية قبيل حركة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ؟

وإذا كان العالم الإسلامي منذ القرن التاسع قد تردى أكثر من أي وقت مضى في الضعف والجهل والتقليد والتمزق فماذا عسى يكون حاله في القرن الثاني عشر ؟

لقد وصل إلى وضع أدق ما يوصف به أنه ردة إلى الجاهلية الأولى في معظم نواحي الحياة وتقديس للأضرحة والشيوخ والأولياء والأشجار ، وصرف للعبادة لغير الله .

ولعل من أبلغ ما وصف به حال العالم الإسلامي ما خطته براعة المؤرخ الأمريكي (لوثرروب ستودارد) في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) حيث يقول:

"في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ، ومن التدهور والانحطاط أعظم دركة، فارتدَّ جوهُ، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب... واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين.. يحكمون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة، وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة في حكمها وينشئون حكومات مستقلة ؛ ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها ، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك ، فكثرت السلب والنهب ، وفقد الأمن..

وجاء فوق جميع ذلك ، (رجال الدين) المستبدون يزدون الرعايا إرهاباً فوق إرهاب ، فغلقت الأيدي ، وقعدت عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بواراً شديداً ، وأهملت الزراعة أيما إهمال .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجنًا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمانم والتعاويد ، والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت سائر الحرمات على غير خشية ولا استحياء! ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس.. ضرباً من المستهزآت .

وعلى الجملة فقد بُدِّلَ المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان" (١) .

تجديد مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

في وسط هذا الجو المكفهر شاء الله أن تنطلق دعوة التوحيد من أرض الجزيرة العربية كما انطلقت شرارتها الأولى منها ، وكانت أرض الجزيرة - وبلاد نجد خاصة - أنسب البقاع لظهور الحركة التجديدية حيث بقيت هذه البقعة بعيدة عن سيطرة الدول الكبرى آنذاك فلم يكن أحد يطمع فيها أو يلتفت إليها ، وكان أهلها من صفاء البادية وقوتها وحيويتها ما يحقق البقاء و النماء لهذه الدعوة المرتقبة.

فانطلق صوت الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي - المولود سنة ١١١٥ هـ - منادياً بضرورة نبد الشرك والعودة إلى نقاء التوحيد وصفائه والذي كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها . وكان الشيخ قد حصل على ثروة من العلم عظيمة وتميز بفهم ثاقب وغيره متوقدة جياشة، وقد فرغ لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الشيخ الإمام ابن القيم رحمهما الله حتى استوعبهما وأتقنهما ووجد فيهما الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة.

ومن ثم بدأ دعوته في حريملاء ثم في العيينة ثم في الدرعية مخاطباً فيها جمهور الناس كما يخاطب رؤوسهم داعياً إلى نبد البدع ، وتحكيم الشرع، وإقامة الكتاب والسنة، حتى حقق الله له ما أراد ، وأقام كياناً سياسياً على أساس من تعاليم الإسلام ، بدأ في التوسع شيئاً فشيئاً ، حتى استتم بلاد نجد كلها، ثم الحجاز، إلى أن اصطدمت جيوش الدعوة الغضة بقوات محمد علي المجهزة بأحدث الوسائل العصرية ، فاخرت سير الدعوة ولكنها لم تستطع أن تحول بين أنوارها وبين المسلمين. ولقد كان لجهود الشيخ الشخصية ولمدرسته التي ربّاهها على يديه أعظم الأثر في الأمم الإسلامية منذ ذلك الوقت وإلى اليوم ، ويعزو كثير من المؤرخين معظم الحركات الإسلامية النقية في أفريقية والهند وغيرها إلى آثار تلك الدعوة المباركة.

ولقد استطاعت هذه الدعوة أن تحرر الأراضي التي وصلت إليها من ألوان الشرك والخرافة وأن تعيد تعبيد الناس لربهم الحق ، وتربيتهم على اتباع السنة الغراء حتى نشأت من أولئك البدو الجهلاء الجفاة الذين عرفوا بالسلب والنهب وقطع الطريق... جماعة مستقيمة على شرع الله، تغضب لله وتغار على حرمانه، وتتورع عن كل ما فيه أدنى شبهة، وتبذل النفس والنفيس في سبيل إعزاز هذا الدين ونصرة دعائه.

وكان هؤلاء هم قوام الجيش الذي فتح بلاد نجد والحجاز وأغار على بعض مناطق الخليج والعراق وفي عزمه أن يخضع العالم الإسلامي ، لهذه الدعوة الربانية.

لقد استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ينشئ دولة تحمي دعوته بالقوة ، وكان واضحاً أنه قد خطط لذلك وعرض على عددٍ من الأمراء حتى قبل الإمام محمد ابن سعود رحمه الله ، وناصر الدعوة الجديدة.

وبذلك ضمن الشيخ استمرار دعوته وقوتها وبقاءها، وأفاد من الأمن الذي استتب، والوحدة التي قامت في نشر تعليمات الإسلام ، وتربية الناس على المعتقد الصحيح ، وتحريرهم من لوثات الشرك والوثنية ، وهدايتهم إلى خلق الإسلام الصحيح في البر والتعاون والإحسان وكف الأذى وإكرام الضيف والعزوف عن الدنيا وملذاتها ، والحذر من المحرمات في الأموال والمآكل والمشارب حتى أصبح رجالات الدعوة صوراً حية للإسلام يذكرون برجال خير القرون الأولى. وانتشر العلم وكثر طلابه وأصبحت البلاد مثابة العلم والعلماء ، واشتغل أئمة الدعوة بشرح تعاليمها وأسسها ومبادئها والرد على مخالفيها وتفنيدهم، حتى نشأ عن ذلك حركة علمية إسلامية صافية.

ولقد كان من الآثار المباركة لهذه الدعوة أن فضحت البدع والخرافات والمذاهب الضالة وحذرت المسلمين من الاغترار بها فهاجمت الرافضة والمنتصوفة والقبوريين وغيرهم من أهل التأويل والتعطيل.

وعموماً فقد جددت دعوة الشيخ ومدرسته دين الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم والذي جده العاملون المخلصون عبر التاريخ ، فكان لها من تجديد عمر بن عبد العزيز القوة الناتجة عن اعتماد الدولة للمنهج التجديدي ، وكان لها من تجديد الإمام أحمد بن حنبل ثم الإمام ابن تيمية محاربة ما شاع في العصر من العقائد والبدع المخالفة ، ونشر التوحيد الخالص ، وتربية الناس على أخلاق الإيمان.

ولم يكن تأثير الشيخ محصوراً في الزمان ولا في المكان ، أما في المكان فإن من المقطوع به أن ثمة خيوط واصله بين دعوته وبين بعض المصلحين المجددين خاصة في الهند وحسبك ما قام به الإمام الشيخ المجدد (نذير حسين الدهلوي) ، ثم الشيخ (محمد بشير السهسواني) صاحب كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) والذي ألفه للرد على (زيني دحلان) أحد علماء مكة في هجومه على الدعوة الوهابية والصاق التهم بها(٢).

كما كان لها تأثير في غرب أفريقية وفي سومطرة وفي بلاد المغرب العربي ، ولتعرف طرفاً من ذلك انظر المراجع المحال إليها في الهامش (٣).

أما في الزمان فإن الدعوة لم تكن طمعاً شخصياً ينتهي بنهاية حياة حامله، بل كانت دعوة ربانية متجردة، ولذلك لم تحطمها الضربات الشرسة التي وجهت إليها ، ولا زالت تؤثر في وجدان الجماهير الإسلامية على الرغم من عداة كثير ممن يجهلون أو يتجاهلون حقيقتها. ولازال المسلمون الواعون في الأرض كلها يُعنون بدراسة آثار الشيخ ومؤلفاته ، وآثار أولاده وأحفاده وأتباعه ، فيجدون فيها من تجريد التوحيد وحماية حماه من الطرق والذرائع الموصلة إلى الشرك ، وتوضيح شرك الأفعال وشرك الألفاظ ، وشرك الإرادة ، وشرك العبادة مالا يجدون في غيرها.

ليس لأن الشيخ جاء بجديدٍ من عنده، ولكن لأن الدعوة التجديدية تعني بكشف الجوانب التي تتسع فيها شقة الانحراف وتأكيدا تفاعلاً مع طبيعة الوضع الذي تعاشيه وتعالجه.

أما في بلاد نجد فلا يزال كثيرون - حتى من عامة الناس - يمتازون باليقظة والحساسية في الألفاظ والعبارات، فلا يقولون شيئاً من الاستعمالات التي ورد النهي عنها والتي أبرزها الشيخ في كتاب "التوحيد" ولا يرضون أن يسمعوها من أحد. ولا زال فيهم بقية من سلوك حسن أخذ مآخذ العادات المألوفة المتواضع عليها، فهو يقاوم تيارات الانحلال التي تعصف عليهم من كل مكان بعض المقاومة.

الهوامش:

- ١- حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: منيرا البعلبكي، تعليق: شكيب أرسلان، دار الفكر ج ١ ص ٢٥٩. ويلحظ في تعبيراته استعمال بعض الألفاظ التي لا نوافقه عليها.
- ٢- انظر. عون المعبود، الموضوع المشار إليه في أول البحث، وانظر كتاب: المصلح المظلوم والمفتري عليه لمسعود الندوي، ص ٥٦ - ٨٦، ط ١ سنة ١٣٩٧.
- ٣- كتب كثيرون عن أصداء دعوة الشيخ، وبالغ بعضهم واعتدل آخرون، وأهم المراجع هي:
 - * - حاضر العالم الإسلامي، ج ١، ص ٢.
 - * - بحوث مؤتمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج ٢.
 - * - مجلة (الفيصل) عدد ١٥٥.
 - * - تراجم الشيخ عامة ومنها كتاب مسعود الندوي المشار إليه.

خواطر في الدعوة التخصص.. أو التشتت

محمد العبد

بالغ الغربيون في التخصص، وأعجبهم ذلك لما لمسوه من الفوائد في أول الأمر، فتجد العامل أو الموظف أو المدرس لا يعلم إلا في حيز ما أسند إليه، فإذا خرج عن هذه الدائرة فهو لا يفقه شيئاً، وهذه ناحية إيجابية في الأصل، لأنها تنتج المهارة، وتعطي النتائج السريعة. ولكن شدة التخصص أدت في النهاية إلى ضيق الأفق وضعف المدارك في بقية شؤون الحياة. والمبالغة تؤدي إلى نقيضها أحياناً، فشدة البياض تصبح مهاقاً ويقابل هذا التخصص عند الغربيين ما عند المسلمين من ميل نحو الموسوعية الفضاضة في العلم، وحشر أنفسهم في شتى المجالات في العمل، فالفرد هنا مطالب بأن يعلم كل شيء، أو له خبرة في كل شيء أو هكذا يدعي ولا يزال يعجبهم القول القديم: فلان (بحر علم) أو (دائرة معارف) ونسوا أو لم ينتبهوا إلى أن هذا العصر لا يحتمل مثل هذا، وإذا كان في العصور السابقة من هو فعلاً (بحر علم) فإن هذا لا يصح اليوم، بل لن يتهياً له وإن أراده، لتشعب الأمور وتعقدها، مما لا يتيح صفاء للذهن وراحة للجسم. وإذا كان هذا في العلم، فكذلك في الدعوة ومن يتصدى لها، فلن يتهياً له أن يتقن كل شيء. وإذا حاول فإنما يأتي به على وهن وضعف، أو يأتي به فجاً لم ينضج بعد.

فإذا كان الداعية المسلم هو المواطن أو التاجر، وهو الكاتب والخطيب والمتحدث، وهو الذي عليه أن يحل مشاكل الناس... فهل يستطيع الإحاطة بكل هذا، وهل ينتج في دعوته، وإذا كان بعض الرجال يتحملون هذا كله، ويقومون به، فإن غيرهم لا يستطيع، وإذا كان البعض قد أوتي قدرة وتحماً وصبراً، فأين تدريب من هو دونه على تحمل المسؤولية وتنمية مواهبه في فن من فنون العمل؟

وقد رأينا من أساتذتنا من يقوم بهذا ، ولكن كثرة الأعمال تثقل عليه في النهاية ، وتجعله لا يستطيع أن يقوم بجزء منها، ونكون قد خسرناه مرتين. مرة: لأننا لم نستفد من اختصاصه. والثانية: أننا لم نستفد من فترة اكتمال تجربته ونضوج عقله. ونحن هنا لا نريد أن نقلل من أهمية المعلومات العامة ، وتوسيع المدارك ، ولا من قدرات بعض الناس، وإنما نريد أن نكون واقعيين نعرف روح العصر وما يتطلبه، ونعلم كيف تتطور الأحداث، وكيف نستفيد من التيسيرات المادية الحديثة التي توفر الجهد، وتساعد على التغلب على ما فقد من صفاء الذهن، كما نريد أن يتعمق أهل الاختصاص في اختصاصهم دون أن يفقدوا ميزة سعة الأفق، كي نستثمر جهودهم ولا نشغلهم بأمور شتى، فتضيع الجهود أو لا ينتجون إلا قليلاً.

الحضارة المعاصرة... الوجه الآخر

الانتحار

إعداد: ضيف الله الضعيفان

قد يعجب القارئ من طرقنا لمثل هذه الموضوعات ، وقد يظن ظاناً أو يتوهم متوهم أن هذا ضرب من التكلف في نقد الحضارة الغربية وشيء من المبالغة في إبراز الوجه الآخر لهذه الحضارة... خصوصاً وأن كثيراً من بلدان المسلمين لا تخلو من كثير من هذه الظواهر أو المظاهر...

ونقول للأخ القارئ: إن الأمر ليس كذلك لسببين:

الأول: إنه وإن وجدت مثل هذه الآفات والأمراض الاجتماعية في بعض مجتمعاتنا الإسلامية ، إلا أنها لاتصل إلى حد الظاهرة العامة كما هي الحال في مجتمعات الحضارة المعاصرة... وعلى الأخ القارئ أن يقارن كل ما سبق مناقشته من تلك الظواهر في المجتمعات الغربية بمثيلاتها في مجتمعات المسلمين كي يرى الفارق في ذلك.

الثاني: إنه رغم ما بيناه في الفقرة السابقة من تباين حجم المشكلة ، إلا أن وجود هذه الأمراض الاجتماعية وغير الاجتماعية في بلادنا ومجتمعاتنا إنما هو في الأصل نتاج وإفراز من إفرازات هذه الحضارة ، انعكس على مجتمعاتنا الإسلامية نتيجة الهجمة الاستعمارية الشرسة التي مارسها ويمارسها الغرب بجميع أشكالها وفنونها.

فالهدف إذن: بيان الوجه الخفي من هذه الحضارة لمجتمعاتنا ، والذي نراه ويراه العقلاء من أبنائها سبباً رئيساً في إفلاسها ومؤشراً واضحاً على بداية نهايتها وانهارها. وهي أيضاً إشارات تحذيرية نضعها على طريق شعوبنا اللاهثة خلف كل ما هو غربي، علها تقف عندها متأملَةً.. لتعي وتدرك ما تأخذ وما تدع من هذه الحضارة...

ذكرنا في حلقات سابقة من هذه الزاوية أمثلة حية مما تعانيه المجتمعات الغربية المعاصرة من أمراض اجتماعية وصحية واقتصادية؛ وغيرها كنتاج سلبي لمعطيات الحضارة المادية التي تعيشها تلك المجتمعات ، فتناول الخمر والمخدرات وما ينبني عليه من آثار ، جاء نتيجة محاولة ردّ الاعتبار والبحث عن السعادة بالهرب من الواقع المرّ..

ومرض نقص المناعة المكتسبة "الإيدز" وغيره من الأمراض الفتاكة هو النتاج الطبيعي للفوضى الجنسية والأخلاقية.. والاعتداءات الجسمية والجنسية على الأطفال أثر من آثار التحلل الاجتماعي والتفكك الأسري..

وحدثنا في هذه الحلقة عن: ظاهرة "الانتحار" في المجتمعات المتحضرة والتي هي الغاية في الهرب من جحيم تلك الحضارة وويلاتها... حيث بلغت حداً من الانتشار ، حتى أصبحت في رأي علماء النفس والاجتماع صرعة غربية..

فالواقع السريع للتطور التكنولوجي المتلاحق ، والاتجاه الشرس نحو المادية المفرطة، وتفكك الروابط والعلاقات الاجتماعية والأسرية أوجد إحساساً بالضيق، وأوجد أزمة هوية لدى الشباب والمراهقين في بلاد الغرب التي أصبحت مهددة بانهيار نفسي وجماهيري... هذا الإحساس بالضيق الذي يعيشه مراهقو الغرب أوجد نزعة نحو التخلص من مشاكل الحياة المادية باللجوء إلى الانتحار... فقد أجرت "مجلة المراهق" الأمريكية مسحاً بين عينة من الصبية والفتيات في فئة السن بين ١٥ و ١٩ عاماً لاستطلاع مشاعرهم تجاه ظاهرة الانتحار المتزايد في المجتمع الأمريكي.. المسح الذي شارك فيه أكثر من (٥٠٠) صبي وفتاة جاء بنتائج مفزعة تقول: إن الثلث ممن وجهت إليهم الأسئلة حاولوا فعلاً التخلص من حياتهم بعد أن استسلموا لليأس والقنوط ، ولقد رُوعي في تكوين واختيار تلك العينة أن تكون ممثلة لواقع المجتمع الأمريكي بجميع طبقاته.. وينتهي المسح أيضاً إلى أن ٧٣% من الشباب والمراهقين فكروا في الإقدام على الانتحار مرة أو أكثر خلال حياتهم..

ويشير الاستطلاع إلى ظاهرة خطيرة أخرى... وهي: أن غالبية من حاولوا الانتحار هم من الفتيات في أخطر مراحل العمر وأحوجها إلى الجو النفسي الأسري عند رفضها أو عجزها عن دفع تكاليف سكنها ومعيشتها!!

يُنشرُ هذا الاستطلاع في وقت ينعق فيه أذعياء تحرير المرأة المسلمة!! ليخرجوها من عش وجو الأسرة الآمن إلى حيث القلق والاضطراب النفسي والأخلاقي..

أما عن أسباب الانتحار: فهي عديدة ومتنوعة ، وأكثرها شيوعاً حسب ما كشفت عنه الإجابات هو: صراع الجيلين ، أي: الخلاف بين المراهق ووالديه ، ولاسيما وأن الأب ينتمي إلى عهد كان أقلّ شراسة في ماديته.. وثمة دوافع أخرى في رأي المراهقين ، إذ يقول من أجري عليهم المسح: أن الإحساس بالوحدة يدفع إلى التفكير في الانتحار ، وكذلك الانزعاج والاستياء من المظهر الشخصي للمرء يُزهدّه في حياته ، وخلافه مع صديقه أو صديقه يجعله يريد أن يبرح الدنيا.. ومما يزيد الطين بلةً أن الشخصية الانتحارية لا تجد من تقض إليه بمكنوناتها لحين تزول العُمة وتنفرج الأسارير... وفي ذلك تقول نتائج المسح: أن ربع من فكروا أو أقدموا على الانتحار فعلوا ذلك بعد أن خاب أملهم في وجود من يُسرون إليه بمعاناتهم (١).

وفي اليابان حيث التقدم الصناعي والقفزات المادية السريعة: أفاد تقرير رسمي نشر بتاريخ ١٢/٢/١٩٨٧م أن ٨٠٢ من الشباب الياباني المراهق قد انتحروا في العام الماضي، مما يشكل زيادةً بواقع ٤٤% عن العام الذي سبقه ، وقال تقرير وكالة الشرطة القومية: أن ٢٩٩ فتاة قد انتحرت خلال عام ١٩٨٦م، وذلك بزيادة ٩,٦% سجلت أعلى رقم قياسي.

وذكر التقرير: أن مشاكل المدارس كانت حافزاً لانتحار ٢٠٧ شاب، تليها المشاكل العائلية التي أودت بحياة ١٠٧ أشخاص ، والمشاكل الغرامية التي ذهب ضحيتها أكثر من ٩٠ شخصاً(٢).

وإذا كان وباء العصر "الإيدز" يقضي على مئات الأشخاص كل سنة في المجتمعات الأمريكية والأوربية ، فإن من المصابين به من يفضل أن يموت بيده لا بيد فيروس المرض؛ احتجاجاً على إصابته به ، فيقدم على الانتحار ، كما أقدم عليه زوجان إيطاليان بأن أطلقا على نفسيهما النار بعد أن أوصيا برعاية ابنهما الوحيد(٣).

وإن كان بعض ما تقدم من حالات أو محاولات الانتحار يبدو له ما يبرره على مستوى العقلية المادية على الأقل ، فإن كثيراً من ممارسي هذه الظاهرة قد قضاوا نحبهم لأسباب تبدو تافهة أو مضحكة في نظر من أوتي عقلاً وإيماناً..

* ففي تقرير حوادث الانتحار اليابانية سابق الذكر - : تعتقد الشرطة أن الزيادة الحادة في إقدام الفتيات على الانتحار جاءت بعد انتحار المغنية الشهيرة "يوكيكو أوكادا ١٨ عاماً" ، التي قفزت من أعلى مبنى شاهق في طوكيو في إبريل ١٩٨٦م (٤).

* وأقدمت الأم البريطانية على الانتحار بعدما فشلت في العثور على دواء يضع حداً لتساقط شعرها، مخلفة وراءها ثلاثة أولادٍ عن عمر يبلغ ٤٣ عاماً (٥).

* وانتحر الأب الإنكليزي ذو الخمسين عاماً بسبب مضايقات حماته، بعد أن نَقَذَ مذبحه في أسرته ضمنها العجوز التي كانت سبباً في انتحاره (٦).

* وأن آخر يقذف بنفسه وطفله من الطابق التاسع عشر احتجاجاً على حكم المحكمة بضم الابن لصالح الأم المطلقة (٧).

* وأخرى تقرر مفارقة الحياة بسبب مرض جلدي في وجهها (٨).

إلى آخر ما هنالك من الحالات الفردية التي فارقت الحياة لأتفه الأسباب...

وما سياقنا لمثل هذه الحالات إلا ليتعرف القارئ المسلم عن كثب على ما تعيشه الشعوب الغربية من قلق واضطراب نفسيين، وخواء روحي، وضيقٍ أفقٍ نتيجة البعد عن منهج الله، والنظرة المادية القاصرة للكون والحياة.

الهوامش:

١ - صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٢ / ٤ / ١٩٨٧م.

٢ - صحيفة الجارديان بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٦م.

٣ - الشرق الأوسط بتاريخ ٥ / ٢ / ١٩٨٧م.

٤ - القبس ١٣ / ٢ / ١٩٨٧م.

٥ - القبس ١٩ / ٩ / ١٩٨٦م.

٦ - الشرق الأوسط ١٣ / ٥ / ١٩٨٧م.

٧ - الشرق الأوسط ٢٢ / ٤ / ١٩٨٧م.

٨ - الشرق الأوسط ٣٠ / ٦ / ١٩٨٧م.

الطب بين عالمين

الدكتور أحمد القاضي

الطب الإسلامي: هو كل ما استُحدث من العلوم والتقنية الطبية ، واتفق مع التعاليم الإسلامية ، أو التعاليم الإسلامية وما اتفق معها من المستحدث من العلوم الطبية والتقنية.

ومواصفات الطب الإسلامي كعلم هي التميز والتفوق.

ونعني بالتميز والتفوق أن يكون طباً متميزاً ناجحاً فيما فشل فيه الطب الحديث ، ولكي يكون كذلك يجب أن تتحقق فيه الشروط الخمسة التالية.

١-الإيمان ، أي أن يكون طباً ربانياً يلتزم بالتعاليم الإلهية فيما يحل ويحرم.

٢- الشمولية، وذلك بأن يهتم بالمريض ككل جسداً وعقلاً وروحاً، وأن يكون هذا أسلوبه في مواجهة كل مشكلة يقابلها.

٣- المنطقية (الرشد) ، بأن يكون منطقياً في تصورات وممارساته.

٤- العالمية ، بأن يكون عالمياً في مصادره لا يتحيز لمصدر دون آخر، ما دامت الطرق والوسائل والممارسات تتفق مع التعاليم الإسلامية ، وينتظر منها الفائدة.

٥- المنهجية العلمية ، وهي أن نضع أية ممارسة أو منطلق نتبعه تحت التمحيص العلمي الدقيق ، فإذا ثبتت فائدته اتبعناه ، وإلا تركناه.

حينما وضعنا هذه الشروط عام ١٩٨٠ افترضنا نظرياً أنه إذا اجتمعت هذه الصفات مع ما توفر لدينا من العلوم والإمكانات الطبية ؛ فسينتج طب جديد فريد من نوعه ، ناجح في ممارساته.

وقد أجرينا بعض الدراسات الإحصائية في جنوب أفريقيا عام ١٩٨٢ ، وفي أمريكا عام ١٩٨٣ ، فثبت: أن اتباع التعاليم الإسلامية ينتج عنه نقص في نسبة الإصابة بالأمراض والوفيات ، والعكس صحيح ، أي: أن مخالفة التعاليم الإسلامية ينتج عنه زيادة في نسبة الإصابة بالأمراض، ومنها

السرطان وغيره من الحميات، ويتسبب في زيادة نسبة الوفيات، وهذا ما دفعنا إلى تأسيس "مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية" عام ١٩٨٣ لتجسيد المفاهيم النظرية والمعلومات التي تبلورت في نطاق

الجمعية الطبية الإسلامية خلال خمسة عشر عاماً.

وكان السؤال: إذا التزمنا ومارسنا هذه المبادئ الخمسة ، فهل يمكن تقديم طب جديد ناجح متميز؟ حيث إننا قد افتقدنا هذه الشروط الخمسة في العلوم الحديثة عامة ، وفي الطب الحديث خاصة.

وقد يفاجأ البعض بهذه النتيجة ، لأن للعلوم الحديثة بريقاً يبهر الأبصار. والبعض يظن أن العلوم الحديثة بلغت الذروة!

ومن أجل دراسة إحصائيات الطب الحديث في أمريكا خلال العشرين سنة الماضية نظرنا إلى ثلاثة معايير:

١- نسبة الإصابة بالأمراض.

٢- نسبة الوفيات.

٣- نسبة سعادة الجمهور (الصحة البدنية والنفسية).

وقد وجدنا-على ضوء هذه المعايير - :أن نسبة الإصابة بالأمراض قد زادت. صحيح أن بعضها قد تلاشى؛ لكن ظهرت أمراض جديدة محيرة لم تكن موجودة.

وأما نسبة الوفيات فقد تزايدت.

وتلاشت سعادة الجمهور ، فقد تزايدت بدرجة كبيرة نسبة الانتحار والاعتداء على الحياة.

ونستخلص من كل ذلك: أن الطب الحديث لا يحقق ما ينتظر منه من نجاح. أي أنه فشل في عدة جهات ، وإذا دققنا النظر بحثاً عن أسباب ذلك وجدنا أن:

أ - الإيمان - كمقياس لتحديد الخبيث من الطيب - معدوم ، وذلك أن ما يحدد الطيب من الخبيث هو رأي الخبراء ، فإذا نادى الأغلبية أن زواج الرجل بالرجل أمر طبيعي فيكون مباحاً ، وإذا أجمع الخبراء أنه لا بأس بالكحول في الأدوية الطبية فإنه يستعمل في ٩٠% من الأدوية السائدة اليوم!

ب - الشمولية وهي مفقودة في كثير من الممارسات.

فالرعاية الطبية جزئية ، حيث تهتم بجزء من المشكلة ، ولا تهتم بالأمر كله ، فمثلاً:

تأخذ الأم طفلها الرضيع إلى طبيب الأطفال المختص، فيفحص جسم الطفل وطوله ووزنه، وحالته الغذائية ونموه ، ويعطيه اللقاحات اللازمة ، ولكن لا يتجرأ بالسؤال عن حالته الاجتماعية وحياته

الأسرة الروحية ، وخطتها في تنشئة الطفل من حيث السلوك أو الدين أو العقيدة ، فيعتبر هذا تدخلاً لا شأن له به ، بل يدرسون في مدارس الطب الغربية أن الطبيب يجب أن يبتعد عن الأخلاقيات! فنتيجة هذه الرعاية الجزئية القاصرة للطفل هناك زيادة وبائية في الانحرافات الخلقية في الجيل الناشئ ، في إدمانهم على المخدرات ، وإصابتهم بالأمراض الجسمية والنفسية ، وبعضها يؤدي إلى فقد الحياة.

وبعد ممارسة التربية الجنسية في الغرب خلال الثلاثين سنة الماضية لتحقيق الأهداف التالية:

- ١- القضاء على الأمراض التناسلية وتخفيض نسبتها.
- ٢- تخفيض نسبة الأطفال غير الشرعيين.
- ٣- تخفيض نسبة المشاكل الأسرية ، من طلاق واعتداءات وغير ذلك. ماذا كانت النتائج؟.

كانت النتائج عكس ما خطط له ، فقد نجم عن ذلك:

- ١- زيادة مخيفة في الأمراض التناسلية.
 - ٢- زيادة الحصول على وسائل منع الحمل وبذلها لمن يريد.
 - ٣- زيادة مطردة لمشاكل الأسر ، من طلاق وانهييار واعتداءات وانحلال و انتحار! لماذا؟.
- لأن برامج التوعية اقتصرت على النواحي الحيوية والعضوية ، وتجاهلت النواحي الخلقية والاجتماعية والدينية وقيودها ومنظمتها تماماً.
- بينما قام القرآن الكريم بالتوعية الجنسية من النواحي المختلفة المتكاملة: العضوية والخلقية والاجتماعية.

٤- المنطقية وهي مفقودة كذلك من كثير من الممارسات:

أ- حيث تنفق ملايين الدولارات لتوعية الجمهور وتحذيره من أضرار الكحول ؛ بينما تحتوي الصيدليات أنواعاً كثيرة من الأدوية تحتوي علي نسبة عالية من الكحول قد تؤدي إلى ٩٠% منها ، وبعضها يحتوي على نسبة من الكحول قد تصل إلى نسبة ما في النبيذ والبيرة وبعض المشروبات الأخرى ، بل قد تزيد عنها!.

ب- تنفق آلاف الدولارات لإنقاذ مريض عمره ٩٠ سنة في حالة غيبوبة ، وفي المستشفى نفسه قد يكون الطبيب نفسه يقضي على عشرات الأجنة الحية ، ويأخذ أجراً أو ثمناً مقابل ذلك باسم إباحة الإجهاض!.

ج - تنفق ملايين الدولارات كل عام في العالم على علاج بضع مئات من النساء - على أكثر تقدير - كي تنجب أطفال الأنابيب ، بينما يقتل خمسون مليون طفل في أنحاء العالم كل عام باسم الإجهاض.

د - تستخدم مئات الملايين من النساء وسائل منع الحمل بتشجيع ودفع من كثير من الدول وأحياناً بالإكراه (كما في الصين والهند ومصر) ، في الوقت الذي يتحدث فيه الأطباء عن مجهوداتهم في عمليات فتح الأنابيب ، أو عمليات طفل الأنبوب!.

هـ- تنفق مئات الملايين من الدولارات على العمليات الفنية البارعة في نقل الأعضاء ، كالقلب والكبد والكلى ، أو وضع أعضاء صناعية لأفراد قاربوا على النهاية ، في الوقت الذي يموت فيه أكثر من عشرة ملايين طفل كل عام من الجوع والإسهال!.

وإن إنفاق هذه المبالغ لإنقاذ هؤلاء الأطفال سيجعل من الممكن -بإذن الله- إبعاد شبح الموت عن ملايين الأطفال البائسين في العالم كل عام، والذين أمامهم أيام وسنين طويلة ومستقبل، كما يمكن أن يكونوا أدوات إنتاج مفيدة.

٤- العالمية (الانفتاح على كل ما هو مفيد).

ينظر أغلب متخرجي المدارس الغربية بتوجس إلى كل ما هو غريب عن مدارسهم ، ولذلك يفتقد الطب الحديث كثيراً من الآراء والممارسات المفيدة في مضمار الطب ، كالطب العربي والطب الصيني (الوخز بالإبر) كذلك في توزيع نتائج المعرفة الطبية ، فهناك تفاوت كبير بين طبقات المجتمع وبين الشعوب والدول في مدى استفادتها من الخدمات الطبية.

٥- المنهجية العلمية. ونعني بها: الملاحظة الدقيقة للإحصائيات الأمنية والاستنتاج المنطقي ، أي: الأسلوب القرآني.

وهذه المنهجية العلمية نفتقدها في كثير من مجالات الطب الحديث ، سواء في البحث العلمي أو في الممارسات التطبيقية ، إضافة إلى أن هناك كثيراً من الممارسات غير الأخلاقية في مجال البحث العلمي بين الحين والآخر في الغرب.

تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية

بقلم: محمد أمحزون

في غياب المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ولأن الرأي العام في العالم الإسلامي هو فريسة خداع منظم متصل، يحاول إغراق المنتسبين إلى الإسلام في الجهل والتبعية باسم الشعارات المضللة، وحيث إنه ليس في العالم الإسلامي من يجهل دور الغرب الصليبي في المؤامرة ولم يتحدث فيه ويكتب عنه ؛ ولكن الكثير هم الذين يجهلون صلة البلشفية والشيوعية باليهودية والصهيونية فكراً ونظماً ، ودورها في خلق ما يسمى إسرائيل ، فإني سأكشف النقاب في هذا المقال عن أبعاد هذه الصلة وحقيقتها وأهدافها لخدمة اليهودية الصهيونية أولاً وأخيراً.

أثر اليهود في الثورة البلشفية وفي الفكر الشيوعي:

قامت الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م لإسقاط القيصرية وإقامة دولة شيوعية. ومما يلاحظ أن اليهود كانت لهم سيطرة شبه مطلقة على هذه الثورة وقيادتها حتى وفاة لينين. ففي دراسة حديثة صدرت عام ١٩٦٥م لكتاب يهودي أمريكي عاصر لينين ورافقه وهو "لويز فيشر" ورد أن لينين يهودي الأصل. وذهبت إلى نفس القول مجلة "فرنسا القديمة" عام ١٩١٨م ، وصحيفة "الساعة الباريسية" ذات الاتجاه الاشتراكي الراديكالي عام ١٩١٧م ، وقالت: إن اسم لينين اليهودي هو (زيدر بلوم).

ومما يؤكد دور اليهود في هذه الثورة البلشفية أنه في شهر مايو عام ١٩٠٧م انعقد في لندن مؤتمر الحزب الشيوعي الخامس والأخير قبل الثورة، حضره (١٠٥) مندوبين عن البلشفيك بزعامة لينين، و (٩٧) من المنشفيك بزعامة مارتوف و(٤٤) من الديموقراطيين الاشتراكيين تنزعمهم روزا لوكسمبورغ ، و(٥٥) من الاتحاد اليهودي يتزعمهم رفائيل ابراموفيتش وليبر غولدمان ، و(٣٥) من الديموقراطيين الاشتراكيين الليتوانيين يتزعمهم دانيشفسكي، وكانت قيادات هذه المنظمات جميعاً لليهود: لينين، مارتوف، روزا لوكسمبورغ ، ابرا موفيتش ، ليبر غولدمان ، دانيشفسكي. وضم المؤتمر من أصل (٣٣٦) مندوب (٢٢٠) مندوب يهودي و (١١٦) من أصل غير يهودي. وأعقب هذا المؤتمر إصدار صحيفتين: صحيفة "بروليتاريا" ، وتمثل البلشفيك ويحررها لينين وبروفنسكي وزينوفيف وكامينيف وكلهم من اليهود ماعدا بروفنسكي. وصحيفة "غولوس سوسيال ديموكرات" أي الصوت الاشتراكي الديموقراطي ، ويحررها مارتوف

وبليخانوف وإكسلرود ومارتينوف - بيكل - وكلهم يهود ماعدا بليخانوف. ثم أصدر تورتسكي اليهودي أيضاً في نفس العام ١٩٠٨ صحيفة "فينا برافدا". وهكذا كانت مصادر الفكر الشيوعي جميعاً تسيطر عليها عناصر يهودية ، كما كانت المنظمات الماركسية كلها من صنع أيديها وتنظيمها وقيادتها. وقد لقيت الحركة البلشفية دعماً مالياً مكشوفاً من البيوتات اليهودية الكبيرة: فقد صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال إنه عمل على تحضير ذلك مع تروتسكي. وفي ستوكهولم كان اليهودي "ماكس واربورك" ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود. ثم انضم إلى هؤلاء يهود آخرون من أصحاب الملايين: والف شبورك ، وجيفو لوفسكي الذي تزوج تروتسكي ابنته.

وبعد موت هرتزل تولى زعامة الحركة الصهيونية حاييم وايزمن الذي التقى مع لينين في ٨ مايو ١٩١٦ بحضور الكاتب الصهيوني جاك ليفي في بيت الصناعي اليهودي دانيال شورين في زيورخ بسويسرا لبحث المخطط الثوري الاشتراكي لتقويض القيصرية التي كانت تقف في وجه إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

ومما قاله لينين لوايزمن: "على نجاح الثورة في روسيا يتوقف تحرير اليهود من كابوس ملوك أوروبا وحكامها ورفعهم إلى أعلى المراتب في الدولة ، وفرض احترامهم وشخصيتهم ، وسوف تحقق الثورة "في روسيا" للشعب اليهودي المشتت ما عجزت عن تحقيقه لهم الثورة الفرنسية عام ١٧٨٧". واقتنع وايزمن بالفكرة وقال للينين: "إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود في فلسطين يتوقف في الدرجة الأولى على تدمير الامبراطورية العثمانية ، وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد... عمرها أصبح محدوداً، وانهارها وشيكاً. لا بد من إنشاء دولة يهودية في فلسطين بعد أن تحقق الثورة الروسية أهدافها".

وفي أعقاب نجاح الثورة واستيلاء الشيوعيين على السلطة قام لينين: أولاً: بإصدار قرار بتحريم العداء لليهود، أي أنه اعتبر العداء لليهود جريمة معاقباً عليها. وكان قراره تعبيراً عن عرفان الثورة بالجميل لليهود روسيا في دورهم الأساسي بتقويض النظام القيصري. ونجد هنا أن لينين ألغى الموقف الرسمي والمجتمعي من اليهود دون أن يلغي في المقابل موقف اليهودية من الدولة والمجتمع، وهو موقف يقوم على التغلغل في المرافق والمراكز الحساسة واستغلال النفوذ.

ثانياً: أصدر إعلاناً يعد فيه بتأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي أصدر فيها بلفور-وزير خارجية بريطانيا- وعده المشهور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ولم يكن هذا التوافق فلتة أو مصادفة وإنما حدث وفق مخطط مدروس. وبذلك حققت اليهودية انتصارين في اتجاهين مختلفين وبقوتين متناقضتين. فقد كانت هذه المسألة-إقامة كيان صهيوني في فلسطين- نقطة الالتقاء الوحيدة عام ١٩١٧م بين الشيوعية والرأسمالية. وعلاوة على ذلك فإن لينين -قائد الثورة- بنى فكره وإيديولوجيته انطلاقاً من الفكر الماركسي ، وماركس كما هو معروف كان يهودياً ، ويجهل كثير ممن وقعوا في شباك الماركسية أن ماركس الذي اشتهر بالدفاع عن الحرية وحرية المستضعفين بصورة خاصة كان يؤيد الامبراطورية البريطانية -وهي إمبراطورية إمبريالية توسعية- بل وقد جعل مصالح الديمقراطية الثورية ومصالح إنجلترا مترابطة وفي كفة واحدة ، وعبر عن ذلك في إحدى المقالات التي كتبها في صحيفة "نيويورك تريبيون" الأمريكية التي كان مراسلاً لها في أوروبا قال:

"ففي هذه المسألة-أي المسألة الشرقية- نرى أن مصالح الديمقراطية الثورية مترابطة مع مصالح إنجلترا بشكل وثيق. فلا الديمقراطية ولا إنجلترا تستطيع أن تدع القيصر يجعل من القسطنطينية إحدى عواصمه ، وإذا سارت الأمور نحو الأسوأ فإننا سنرى الواحدة أو الأخرى تتصدى له بنفس الزخم والمقاومة" [نيويورك تريبيون York New Tribune ٧ إبريل ١٨٥٣م] .

كيف ذلك ونحن نعلم أن بريطانيا ذات اتجاه ليبرالي إمبريالي يتناقض قلباً وقالباً مع ما يسمى الديمقراطية الثورية أو الاشتراكية الثورية التي يزعم ماركس أنه يتبناها! إن في ذلك تناقضاً واضحاً يكشف النقاب عنه أن ماركس رغم تظاهره بالإلحاد لإضلال وغواية البشر كان يهودياً في الصميم ؛ إذ كانت بريطانيا وقتئذ موئل اليهود وسندهم أكبر إلى جانب هولندا ، وذلك قبل أن ينتقل مركز الثقل اليهودي بصورة نهائية إلى الولايات المتحدة. بل كان ماركس صهيونياً ، وله كتاب اسمه: "المسألة اليهودية" ؛ فقد اتصل عام ١٨٦٢م بفيلسوف الصهيونية الأول وواضع أساسها النظري "موشي هيس" صاحب كتاب "الدولة اليهودية" ، وعن هذا أيضاً تلقى "تيودور هرتزل" الذي لم يزد على أفكار "موشي هيس" سوى أن بسطها وأقام لها تنظيمها السياسي فيما يعرف بالحركة الصهيونية.

وقد بلغ من إعجاب ماركس وتأثره بـ "موشي هيس" أن قال عنه في كتابه "المسألة اليهودية": "لقد اتخذت هذا العبقرى لي مثلاً وقدوة ، لما يتحلى به من دقة في التفكير واتفق آرائه مع عقيدتي وما أومن به" ، وكذلك فإنه مما يلفت النظر إلى أن ماركس قد عبر بالشيوعية عن يهوديته ما كتبه فيما بعد "الحاخام لويز بورنس" ، وهو أحد أقطاب الصهيونية الحديثة قال: "إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثير ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية". ومما يثبت أيضاً أن لليهود دوراً هاماً في ترويج الفكر الشيوعي ما ورد في البروتوكولات الصهيونية ؛ فقد جاء في البروتوكول الثاني:

"لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا أن نجاح داروين وماركس ونييتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الشعب الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد".

هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى لا يتسع المجال لذكرها كلها ؛ فقد نشرت مجلة " فريكان هيبرو في عددها الصادر يوم ١٠ / ٣ / ١٩٢٠م وهي من كبرى المجلات اليهودية:

"إن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود.. وإن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم". وبتاريخ الخامس عشر من شباط عام ١٩٦٨ ألقى ألكسي كوسيجين خطاباً في مدينة (مدينسك) السوفيتية جاء فيه: "نحن لسنا أنصار حرب جديدة في الشرق الأوسط ، بل على العكس نريد سلاماً مستقراً في المنطقة ، وهناك بعض الدول العربية تؤيد هذا الموقف. إننا نرفض تصفية إسرائيل ، بل نؤيد استمرار إسرائيل كدولة".

ومما يلاحظ أن الاتحاد السوفييتي منذ بداية الثورة البلشفية لم يتحرج في اتخاذ موقف التأييد المطلق والتنسيق المتكامل بينه وبين الحركة الصهيونية قبل قيام إسرائيل وبعد قيامها. ومن مطالعة النصوص والوثائق التي تغص بها سجلات الأمم المتحدة -ويستطيع كل إنسان الحصول عليها بأي لغة شاء- يتضح عدد من الحقائق والمواقف التي تدين الاتحاد السوفييتي في تأييد قيام إسرائيل وفي التمهيد لها ، ثم في توفير ظروف استمرارها وبقائها وقوتها.

الشيوعية في بلدان أوروبا وأثر اليهود فيها:

لو دققنا في قيادات الحركات الشيوعية الأخرى خارج روسيا لوجدناها غاصة باليهود على مستوى القيادة والتنظيم أو على مستوى الفكر والمحتوى. ففي ألمانيا بعد نجاح الثورة الشيوعية الأولى عام ١٩١٧م ، قامت ثورة شيوعية مماثلة قادتها روزا لوكسمبورغ ، وهي يهودية بولونية شاركت وأسهمت في النشاط الشيوعي مع التنظيمات الماركسية الأولى خارج الاتحاد السوفياتي لكن هذه الثورة قمعت ثم أعدمتم روزا لوكسمبورغ. وقد أوفدت الأممية الشيوعية "كارل رادك" لقيادة الحزب الشيوعي الألماني في أعقاب فشل روزا لوكسمبورغ ، ثم تبعته "روت فيشر" وكلاهما يهودي. وفي نفس هذه الفترة تقريباً قام يهودي شيوعي آخر وهو "بيلاكون" بثورة في هنغاريا وكان هذا عام ١٩١٩م. وقد أعقب هذه الثورة مجازر ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين. وكان الحصاد مجاعة عامة انتهت بإسقاط "بيلاكون" ؛ الذي فر وعاد إلى روسيا ليتسلم فيها إدارة منظمة الإرهاب في الجنوب منها.

وفي بلدان أوروبا الشرقية الأخرى لم يكن اليهود أقل نفوذاً وارتباطاً بالحركة الشيوعية. ففي رومانيا كانت سكرتيرة الحزب "أنا باوكر" التي ولدت في بوخارست لأبوين يهوديين ثم هاجر والداها وكان جزاراً - مع أحد اخوتها إلى إسرائيل واستوطنها. عاشت فترة من الزمن في أمريكا ، ثم استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلّم الحكم في أعقاب الحرب العالمية الثانية من الجيش الأحمر. وفي بولونيا ظل يحكمها إلى فترة غير بعيدة أربعة يهود هم: مينك وسكريينر فسكي ، ومودز يلفسكي ، وبرمان ، وهذا الأخير كان يعيش في روسيا ، ثم اختارته موسكو ليكون حاكم بولونيا الخفي بعد الحرب.

وفي تشيكوسلوفاكيا استطاع اليهودي سلانسكي أن يفرض ديكتاتورية حمراء أخرى ، ثم شملته حملة التطهير ، لكن الذين حاكموه كانوا أيضاً من اليهود: سيفان رايتز وغيره ، وظلت تشيكوسلوفاكيا تحت حكم اليهود الشيوعيين ، وقد تمكن هؤلاء من تنظيم مساعدة إسرائيل عام ١٩٤٨م عسكرياً وبشرياً وأمدوها بالكثير من أسباب القوة ، ثم صاروا يمدونها بعد ذلك بكل أخبار صفقات التسلح الشيوعي إلى البلدان العربية ، ومواقع جيوشها وكفاءتها وتنظيماتها ، وكل ما اتصل بأسرارها العسكرية ، وإلى جهود هؤلاء وإلى عوامل أخرى يرجع الفضل فيما حققت إسرائيل من نصر خاطف عام ١١٦٧م.

وفي هذا الصدد نذكر قول الشاعر :

ونشدد من يهود الشرق عدلاً كمن تخذ الغراب له دليلاً

وحين نبحت عن أصول وزراء التعليم والتربية في جميع بلدان أوروبا لشرقية في الستينات نجدهم يهوداً وبغير استثناء. ويرجع حرص اليهود على هذه الوزارة بالذات إلى حرصهم ؛ على توجيه النشء وصياغة أفكاره وفق المخطط الذي أعدّه.

قائمة لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية والتي كان لها دور في الثورة البلشفية. لينين: اسمه الأصلي: زيدر بلوم. قائد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ الأمين العام للحزب حتى وفاته.

كروبسكايا: زوجة لينين ، شغلت أمانة سر لجنة تحرير "الأيسكرا" ، أول صحيفة شيوعية.

تروتسكي: اسمه الأصلي "برونشتاين" ، عاش فترة من حياته في نيويورك ، رئيس سوفيات

بترسبورغ عام ١٩٠٥ م ، أسهم في ثورة ١٩١٧م.

روزا لوكسمبورغ: يهودية بولونية ، أسهمت في جميع النشاط الشيوعي الذي سبق ثورة روسيا ، وكانت مع أعضاء حزبها شريكة في التخطيط للحركة الشيوعية في أوروبا.

بارفوس: رئيس سوفيات بطرسبورغ بعد تروتسكي، أسهم في ثورة ١٩٠٥ و ١٩١٧م مارتون: عضو تحرير صحيفة "أيسكرا" الصحيفة الشيوعية الأولى. قاد الانشقاق ضد لينين وسمى أنصاره المنشفيك ، اسمه الأصلي: رباوم.

زينوفيف: كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي ، وهو صديق لينين الشخصي وأحد أبرز العناصر الشيوعية ، ترأس الأمانة الشيوعية من عام ١٩١٩م حتى ١٩٢٦م . إكسلورد: عضو تحرير صحيفة "أيسكرا" ومن القادة الأوائل للحركة الشيوعية مع بليخانوف في جنيف.

ليبر غولدمان: من رواد الحركة الشيوعية الأوائل ، أسهم في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧م . لتفينوف: واسمه الأصلي مايروالاش. وزير خارجية روسيا بين ١٩٣٠-١٩٣٩ ، أسهم في سرقة بنك تغليس قبل الثورة للحصول على المال وتمويل الحركة الشيوعية.

سفردلوف: أحد قادة الثورة البلشفية ومن العناصر البارزة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، ورئيس لجنة الدستور وثاني رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة.

كامينيف: أول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة البلشفية.

يوريتزكي: رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التي قامت في أعقاب الثورة.

رادك: قاد الحزب الشيوعي الألماني موفداً من الأمانة الشيوعية بعد إعدام روزا لوكسمبورغ ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين.

وارون أيزوفتش كرم: عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الأول للحزب الذي وحد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية.

روز شتاين: المشرف على جميع الشؤون الشرقية وما يتصل بالعلاقات الروسية - الإسلامية في الدولة الشيوعية بعد الثورة. وقد أشرف على تأسيس أول حزب شيوعي في فلسطين عام ١٩١٩م ، وكان حزباً يهودي القيادة. وإلى العناصر اليهودية في هذا الحزب أوكل أمر إنشاء الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية.

ولمن يريد التوسع في موضوع العلاقات الشيوعية الصهيونية فليرجع لكتاب "التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية" لنهاد الغادري ، من منشورات دار الكتاب العربي ؛ وهو كتاب يكشف عن الصلات بين الحركتين الشيوعية والصهيونية وعلاقتها الواحدة وفكرهما الواحد وعناصر تكوينها المشتركة. ويقدم مجموعة من الوثائق تدين الحركة الشيوعية بالعمل بالتوافق مع الحركة الصهيونية ولمصلحة اليهودية ، كما يقدم مجموعة من الوثائق لتاريخ الأحزاب الشيوعية العربية ودور اليهود في إنشاءها وتمويلها.

أثر اليهود في نشر الفكر الشيوعي في البلاد العربية الإسلامية:

إن اليهود بدأوا منذ القرن التاسع عشر - على الخصوص - في التطلع والتخطيط لإقامة كيان صهيوني في فلسطين. وقد كانوا يعلمون جيداً أن ليس بإمكانهم أن يطمأوا أرض فلسطين بأقدامهم وأن يقر لهم فيها قرار إلا في حالة ضعف المسلمين وتخلفهم ، كما كانوا يدركون أن الإسلام هو السر الحقيقي لقوة المسلمين ونهوضهم. ولذلك أقدموا بما لديهم من هيمنة على وسائل الإعلام المختلفة على نشر الفكر الشيوعي وتمويل وتأسيس الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، ونشر الإلحاد وغير ذلك من المفاهيم العلمانية المادية التي تدعو المسلمين إلى فصل الدين على الدولة ،

وعن الحياة والتحلل من الأخلاق والقيم الإنسانية. وكان ذلك تحت ستار الشعارات الخادعة المضللة ، فتغلغت تلك الأفكار في عقول كثير من الشباب الذين فقدوا التوجيه الصحيح والفهم العميق المستنير للإسلام لأسباب داخلية أهمها غياب الإسلام عن الساحة كنظام حضاري ومنهج حياة شامل، ولأسباب خارجية أهمها الغزو الشيوعي الصهيوني والصليبي للعالم الإسلامي ، واستيراد أساليب وأنظمة ظاهرها التقدمية والتحرر ، وباطنها الاستلاب والاحتواء والجمود. فقد جرب المنتسبون إلى الإسلام مختلف الأنظمة الوضعية من ليبرالية واشتراكية فلم تزد لهم إلا بلة وجموداً وتأخراً وتبعية للغير. علماً بأن الظروف التي مرت بها أوروبا وجعلتها تكره الدين - بمفهومه الكنسي المحرف الضيق الانتهازي - هي ظروف ليست موجودة في الإسلام ، والله الحمد.

وقد استغل الشيوعيون اليهود وعلى رأسهم ماركس معركة الدين والعلم ، والدين والدولة في أوروبا للتمويه والمغالطة وتعميم الأحكام بالقول أن الدين أفيون الشعوب -أي الدين عامة - وأنه يتعارض مع النظر العقلي ، وهي شبهة لها مجالها الحقيقي في واقع الكنيسة والفكر الغربي ، بينما لا نجد لها أي أثر في الإسلام والفكر الإسلامي.

إن الكنيسة في غرب أوروبا حرّفت الدين المنزل من عند الله ، ونشرت الأوهام والخرافات بين الناس ، وابتزت الأموال بغير حق ، ووقفت في وجه الحركة العلمية وحجّرت الفكر. ولاشك أن هذه المواقف الكنسية السلبية باسم الدين أعطت له مفهوماً مظلماً قاتماً ظل يعيش في أعماق الفكر الأوروبي في العصر الحديث. هذا علاوة على أن التحريف الذي وضعه الفكر الغربي للدين لا يمكن أن ينطبق على الإسلام ؛ فرجل الدين في الغرب يوصف بأنه لا يصلح لفهم أمور الحياة والتدخل في شؤون الدولة بسبب انقطاعه عن صحبة الناس في الأديرة والكنائس ، إذ أن الكنيسة في الأصل تركت القوانين والأوضاع التي كانت تسود الإمبراطورية الرومانية تتحكم في شؤون الناس.

أما الإسلام بمفهومه الصحيح المستمد من الكتاب والسنة - لا بمفهوم المنافقين الذين يرفعون شعار الإسلام ، لكن في آن واحد يجزئونه ويشوهونه تبعاً لأهوائهم ومصالحهم الخاصة - فقد أقام العدل والمساواة بين الناس ؛ لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم في الحقوق والواجبات ، وأمر بالشورى وحرية التعبير في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشجع العلم ، وحرر الإنسان من رق التقليد الأعمى وربّاه على حرية الفكر والاستقلال في الإرادة مع التقيد بالدليل ؛ فهي حرية فكرية تقوم على قواعد النظر والاستدلال بعيداً عن الأهواء والأوهام. ولم يقف أمام الحضارة والعلم والمدنية معارضاً أو مناهضاً كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطى ، بل كان باعثاً للانطلاقة العلمية التي أدت إلى ابتكار المسلمين للمنهج العلمي التجريبي. وهذا المنهج التجريبي هو الذي

تسلمته أوروبا من المسلمين عن طريق الأندلس وصقلية والشام وأقامت عليه مدنيته الحديثة وعلاوة على هذا فإن الإسلام لا يقتصر على الشعائر التعبدية - كما هو الأمر عند الكنيسة - بل هو منهج كامل للحياة الإنسانية ؛ إذ إن معنى الإسلام: الاستسلام والانقياد والخضوع لله والتزام حكمه في كل شؤون الحياة ، أي بمعنى إسلام النفس كلها لله حيث تكون أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملي كلها محكومة بالدستور الذي أقره الله. فالسلطة التشريعية حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يشاركه فيها أحد ، ومدار الإسلام على ذلك كله ، قال تعالى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) [النساء: ٥٥] ، وقال تعالى: ((وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) [المائدة: ٤٤]. وقال جل وعلا: ((إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ)) [يوسف: ٤٠] إلى غير ذلك من التقريرات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم.

ويبدو شمول التشريع الإسلامي أيضاً في بعدٍ آخر وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات الإنسانية المختلفة ، ما يؤثر فيها وما يتأثر بها ، والنظر إليها ومعالجتها معالجة محيطية مستوعبة مبنية على معرفة النفس الإنسانية وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وضرورياتها ، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها وربط التشريع بالقيم الإنسانية على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي ، فجاء هذا التشريع لخدمة الإنسانية ولمصلحة الجميع ، ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) [الملك: ٤١].

ومما يلاحظ أن الحملات التي تُوجّه ضد الدين الحق - وهو الإسلام - إنما توجه من قبل دعاة المذاهب المادية وعلى رأسهم اليهود ضمن مخطط رهيب يتبلور من خلال الغزو الفكري الذي حاول بمختلف الأساليب القضاء على أثر الإسلام في عقر داره ، وإيهام المخدوعين من أبناء هذه الأمة أن لا سبيل للتقدم إلا بإبعاد الإسلام عن مجالات الحياة المختلفة ؛ هذا كسلاح لتركيز السيطرة اليهودية والتمكين لها في البلاد الإسلامية ، إذ يدرك اليهود جيداً أن الإسلام يقف سداً منيعاً في وجه أي احتواء أو تبعية أو تنازلات لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بأرض إسلامية كفلسطين وتهجير وتشريد شعب مسلم بأكمله.

وهذه قائمة لبعض اليهود ممن كان له أثر كبير في تمويل وتأسيس الأحزاب الشيوعية العربية: ليون سلطان: يهودي مغربي ، مؤسس الحزب الشيوعي بالمغرب عام ١٩٤٣ م. أبراهام السرفاتي: شمعون ليفي: يهوديان مغربيان أسهما أيضاً في إنشاء الحزب الشيوعي بالمغرب تحت رئاسة "ليون سلطان" السابق الذكر ، وهما عضوان في حزب التقدم والاشتراكية. يعقوب كوجمان: يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق. أميل ، أوسكا ، مولر: ثلاثة شيوعيين يهود حملوا الأموال والتوجيهات الأجنبية للحزب الشيوعي السوري اللبناني. وقد وردت أسماؤهم في اعترافات وفيق رضا القائد الشيوعي القديم ، وجميعهم من موفدي الكومنترون.

ساسون دلال: يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي ، تولى مناصب قيادية فيه. برنمو: يهودي شيوعي من فلسطين. كان مستشاراً لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني. هلل سفارتس: مؤسس منظمة "الأيسكرا" في مصر.

مرسيل إسرائيل: مؤسس منظمة الشعب الماركسي في مصر. جاك تيبير شامي: رئيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وهو يهودي روسي الأصل من فلسطين.

كوريل: يهودي مصري إيطالي الأصل ، مليونير ، أسس الحركة الديمقراطية للتححر الوطني في مصر ، وهي حركة شيوعية انضم إليها فترة من الزمن بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر. أبو زيام: شارك جاك تيبير -السابق الذكر- في توجيه الأحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان وفلسطين ، ويعتبر من أبرز خبراء الكومنترون في شؤون الشرق العربي. وقد تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين عامي ١٩٢٤-١٩٢٩ م.

أفيجور: يهودي روسي ، انتدبه الكومنترون لتأسيس الحلقات الماركسية الأولى في مصر. إن خطط اليهود المتأمرين على الأمة الإسلامية لا تقف عند حد ، وتكاد تكون هي ذاتها منذ هجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة: تغذية الأحقاد وإذكاء النفاق وإشعال نار الفتن لتدمير المجتمع الإسلامي بنشر الإلحاد والفساد والانحلال بين أفرادها باسم الليبرالية تارة وباسم الشيوعية تارة أخرى.

ألم يأن للمسلمين أن يتصدوا للمتآمرين على وجودهم وكيانهم وعقيدتهم ويقفوا صفاً متراساً لإحباط خطط اليهود.

ولعل فيما قاله أحد مشاهير الفلاسفة - إدمون يوركه - ما يشير إلى الطريق الذي يجب على قوى الخير المتمثلة في المسلمين سلوكه لإنقاذ أنفسهم بل وإنقاذ البشرية من المخططات الإجرامية لقوى الشر المتمثلة في اليهود وغيرهم: "إن كل ما تحتاج إليه قوى الشر لكي تنتصر هو أن يظل أنصار الحق مكتوفي الأيدي دون القيام بعمل ما".

جديد... قبل نصف قرن

لندن في ١٩٣٧ م:

دولتان جديدتان ستظهران على خارطة العالم في غضون سنتين ، وذلك فيما إذا تم تبني الاقتراحات المقدمة في الهيئة الملكية التي تعني بشؤون فلسطين ، والتي كانت قد نشرت تقريرها هنا (في لندن) في ١٩٣٧/٧/٧ ، و بموجب الخطة التي أعدتها الهيئة فإن الانتداب البريطاني سينقسم إلى دولتين مستقلتين: إحداهما يهودية ممتدة على طول الساحل الفلسطيني، وأخرى عربية في المناطق الداخلية. وستتم إقامة مثلث بين الدولتين يتخذ شكل استمرار الانتداب البريطاني للمدن الفلسطينية (القدس، الناصرة، بيت لحم)، وكذلك الشريط الضيق الذي تمتد عليه هذه المدن والذي يمتد من القدس وحتى يافا.

وقد أخرجت الحكومة البريطانية الخطة وأوعزت إلى بعض سفنها الحربية [هود وريبلسي] إلى التوجه من مالطة إلى حيفا تحسباً لأي قلاقل.

هيرالد تريبيون ٨ / ٧ / ١٩٨٧ م

قبل نصف قرن من الآن ، وبالتحديد في ١٩٣٧/٧/٧ م انتهت الهيئة الملكية البريطانية من مسودة خطة لتقسيم فلسطين إلى دولتين: إحداهما عربية والأخرى يهودية ، على أن تظهر هاتان الدولتان إلى حيز الوجود في غضون سنتين من التاريخ المبين ، وذلك في حالة تبني الخطة. وقد وافقت الحكومة البريطانية حينئذ على تبني خطة التقسيم (وكانت قد تعهدت من قبل في ١٩١٧ م على لسان وزير خارجيتها بفور على إنشاء وطن قومي لليهود) وأوعزت إلى بعض سفنها الحربية للإبحار من مالطة إلى حيفا تحسباً لوقوع بعض القلاقل والاضطرابات من جانب العرب احتجاجاً على هذا القرار.

هذه مجرد إشارة عابرة إلى واقعة من وقائع تاريخ العلاقات البريطانية العربية الحالك السواد ، والتي كانت محكومة بتجاهل العرب وحقوقهم من قبل الإنكليز ، وبالنظرة الاستعمارية المتعترسة ذات الوجهين: وجه التملق والمخادعة الذي تتعامل به مع المسؤولين ، ووجه البطش والإرهاب الذي تكبت به صوت الشعوب التي تود التعبير عن حقوقها.

ولكن كل ذلك معروف ومفهوم، فليس لنا أن نلوم العدو أن يكون عدواً، ولا صاحب المصلحة أن يحتال لتحقيق مصالحه الخاصة ؛ ولكن غير المفهوم هو تسابقنا نحن العرب إلى خطب مودة هذه الدولة العريقة في صناعة المشاكل وإنتاج الآلام لأغلب شعوب الأرض، ورجاؤنا لها كي تساعدنا وتقف إلى جانبنا لتحصيل حقوقنا الضائعة، مع أن كل حيثيات الماضي والحاضر تدلنا على أننا نعتمد على أوهم ، ونركن في إرواء عطشنا إلى سراب.

وشتان بين موقفنا الدائم من بريطانيا وبين موقف اليهود من ألمانيا التي أرغموها على أن تظل رهينة دعايتهم وابتزازهم ، وعلى الرغم من تعويضها لهم بالأسلحة والأموال إلا أنه يبدو أنه لا

ألمانيا ستقف عن دعم اليهود، ولا هؤلاء يشعرون أن ما قدمته وتقدمه لهم ألمانيا كافٍ للتكفير عن جرائمها المزعومة!.

فأين قادة من قادة؟! وأين مواقف من مواقف؟!.

دحض شبهات حول نظام الأسرة في الإسلام

د. محمد بن عبد الله السلطان

تمهيد:

منذ أن ظهر الإسلام ديناً ارتضاه الله تعالى للبشرية في كل زمان ومكان وأعداؤه - وما أكثرهم - يتربصون به الدوائر ، ويتلمسون كل طريق ليلبّدوا المسلمين عن دينهم بتشويهِهم مبادئ هذا الدين ، معتقدين عن جهل أو حقد - هو الغالب - أن هذه الشبهة حقيقة واقعة، وما علموا أن ما زعموه من شبهة إنما هي من ميزات الإسلام ، ودلالة واضحة على صلاحيته شريعة ومنهج حياة. بل إن حديثهم العدوانى عن الإسلام كثيراً ما يكون سبباً في نشره واتساع محيطه ومعتنقيه كما قال الشاعر:

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرَف العود
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ولكي لا يطول بنا الحديث نعالج الموضوع من عدة نقاط هي:

مشروعية الزواج في الإسلام:

إن أساس عناية الإسلام بالأسرة : حضه على الزواج وترغيبه فيه ، لأنه أساس لتكوين الأسرة المسلمة وبالتالي تكوين المجتمع المسلم ، وقد وردت نصوص كثيرة تحت على الزواج وترغب فيه عند الاستطاعة ، ومن ذلك قوله تعالى: ((وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)) [النور: ٣٣].

وما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء" (١).

ومعنى ذلك: أن الإسلام حريص على تكوين الأسرة المسلمة وكثرة أفرادها بالزواج، ليعيش الطفل المسلم بين أبويه ينهل من رعايتهما وعطفهما. وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الأطفال الذين يعيشون بين أبويهم أقوى جسماً وعقلاً وعاطفةً من أطفال الملاجئ.

ولا تقتصر حكمة الزواج في الإسلام على ذلك ، بل تتعداه إلى حكم أخرى لاشتمال الزواج على مصالح كثيرة منها: تحصين الزوج والزوجة ، وتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكثرة أمته (٢)، بل قرر بعض العلماء أن الزواج أفضل من نوافل العبادة (٣).

شبهة تعدد الزوجات:

إذا كان الإسلام قد حث على الزواج فإنه - بجانب ذلك - أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع نسوة ، واشترط توفر العدل بين الزوجات. وقد وجد أعداء الإسلام في ذلك وسيلة للنيل منه ، وذلك بزعمهم أن في ذلك إهانة للمرأة. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور هي:

١- الإسلام أباح التعدد ولم يأمر به أو يحث عليه ، وفرق بين إباحتها والأمر به، فالإسلام أباح التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحصل من جرّاء منع التعدد وتحريمه ، فهو في ذلك مراعى للفطرة الإنسانية السليمة التي تتطلب ذلك.

- ٢- اشتراط الإسلام العدل بين الزوجات في الإنفاق والمعاملة. فمن يتزوج بأكثر من واحدة ولم يعدل بين زوجاته كان أثماً في عمله كله. يقول تعالى: ((فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)) [النساء / ٣]. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن من لم يعدل بين زوجاته جاء يوم القيامة و شيقه مائل".
- ٣- عندما تكون الزوجة عقيماً ، فالتعدد حل لمشكلتها مع زوجها الذي قد يرغب بإنجاب الأولاد ، ولاشك أن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من أن يطلقها ويتزوج بأخرى.
- ٤- عندما تكون الزوجة مريضة أو غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها إما لمرض جسدي أو غيره ، فإن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من فراقها وهي على هذه الحالة.
- ٥- عندما تكون نسبة النساء في مجتمع ما أكثر من نسبة الرجال، لحروب طحنت الرجال أو لغيرها من الأسباب ، فإنه لا يوجد حل لمشكلة ذلك المجتمع وحفظه من برائن الفساد والفتن سوى التعدد. وأقرب مثال على ذلك ما حصل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث تبين من الإحصائيات الدقيقة أن النساء يشكلن ٧٠% من مجموع السكان، ومعنى ذلك أن الرجال يشكلون ٣٠% من السكان ، وبالتالي سيبقى ٤٥% من النساء بدون زواج، فارتفعت بعض الأصوات هناك تطالب بإباحة التعدد حلاً لهذه المشكلة الخطيرة.
- ومثال آخر: ظهر قريباً في إحدى دول الخليج التي خرجت فيها بعض الدراسات أثبتت أن نسبة النساء فيها أكثر من الرجال. وأوضحت تلك الدراسات والإحصائيات أنه مما زاد هذه المشكلة انتشاراً ظاهرة زواج المواطنين من خارج وطنه بسبب غلاء المهور.
- ٦- وأخيراً فإن الإسلام قد جاء والتعدد كان نظاماً اجتماعياً معروفاً عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، وكان بدون تحديد لعدد معين ، فجعله الإسلام لا يزيد على أربع زوجات واشترط العدل بينهن حفظاً لحقوق المرأة وكرامتها.

شبهة الطلاق:

وكما أباح الإسلام التعدد فقد أباح الطلاق أيضاً ، وجعله حلاً لمشاكل اجتماعية قد تحصل بين الزوجين لا يمكن حلها إلا بالطلاق. ومع ذلك اتخذ أعداء الإسلام من إباحة الإسلام للطلاق منطلقاً للتهجم عليه. وزعموا أن في ذلك إهانة لكرامة المرأة وسبباً في تشرد الأولاد. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور:

- ١- أن الإسلام حينما أباح الطلاق بغض به ، وجعله الرسول أبغض الحلال إلى الله (٤).
- ٢- رغب الإسلام في الصلح بين الزوجين وإيجاد الحل لمشاكلهما قبل البت في الطلاق. فقد يكون سبب النزاع عوامل خارجية عن حياة الزوجين الخاصة يمكن إيجاد حل لها وتستقيم الأمور ، يقول تعالى: ((فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)) [والنساء: ٣٥] ، فإن انسدت أبواب الإصلاح ، ولم يكن التوفيق بينهما فالطلاق هو الحل الأخير ، وسيوفق الله الطريق الأصلح لكل واحد منهما ((وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ)) [النساء: ٣٠]. ومع ذلك ترك الإسلام للرجل والمرأة فرصة للتفكير؛ فشرع الطلاق الرجعي ليستطيع الرجل أن يراجع فيه امرأته بدون مهر أو عقد جديد إذا كانت لازالت في عدتها.
- ٣- أن الإسلام حينما أباح الطلاق إنما وافق بذلك الفطرة السليمة بجعله حلاً لمشكلة اجتماعية قد تحصل بوجود خلاف وعدم التئام بين الزوجين ولا حل لهما إلا بالطلاق. ولنا أن نتصور كيف تكون الحال لو أن الطلاق ممنوع أو محرم ، إن الحياة بين هذين الزوجين ستكون جحيماً لا يطاق. ولهذا نجد في أوروبا أن القوانين فيها أخذت تجيز الطلاق مع أن الكنيسة النصرانية بتعاليمها

المحرفة لازالت تحظر الطلاق حتى مع ثبوت الخيانة الزوجية. وكانت فقط تحكم بالتفريق الجسدي بين الزوجين مما سبب مشاكل اجتماعية خطيرة.

٤- أما زعم أعداء الإسلام أن الطلاق سبب لنتشرد الأولاد في البلاد الإسلامية ، فإن هذا غير صحيح ولا دليل له من الواقع. ذلك أن إحصائيات الطلاق في العالم الإسلامي أشارت إلى أن أكثره يقع في السنة الأولى من الزواج وقبل الإنجاب بسبب فشل اختيار أحدهما للآخر. وقد ورد في تلك الإحصائيات أن ٧٧% من وقائع الطلاق تقع قبل إنجاب أي ولد ، وأن ١٧ % تقع بعد إنجاب طفل واحد(٥). ثم تتدنى النسبة كلما كثر عدد الأولاد. وحينما يقع الطلاق مع وجود الأولاد كفل الإسلام الحياة الكريمة للأولاد - في رعاية أحد الأبوين - وأوجب النفقة على الأب ، بل أوجب الإسلام على الأب إعطاء الأم أجراً حتى على إرضاع ولدها. يقول تعالى: ((وإن كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)).. ((وإن تَعَاسَرْتُم فَسَترُضِعْ لَهُ أُخْرَى)) [الطلاق:٦].

مكانة المرأة وحقوقها:

وهكذا اتضح لنا أنه حتى في المسائل التي أثارها أعداء الإسلام زعماً منهم أن فيها إهانة للمرأة إنما في الحقيقة هي في مصلحة المرأة وحماية حقوقها.

وحينما نبحث عن نظرة الإسلام للمرأة وتكريمه لها في جوانب أخرى نجد أن الإسلام قد أعلى من شأنها وأعطاه من الحقوق ما لم يعطه لها الغرب الأوربي المتمدن. فما بالك بالأمم الأخرى قبل الإسلام!!

فلو نظرنا إلى الأمم الأخرى قبل مجيء الإسلام لرأيناها في مجملها تحط من مكانة المرأة ، وتحرمها أبسط حقوقها. فاليهودية المحرفة: تعتبر حواء ومن ثم المرأة عموماً سبباً في شقاء الإنسانية لأنها أخرجت آدم - بزعمهم - من الجنة.

وجاءت النصرانية المحرفة: فتبعت اليهودية في احتقارها للمرأة ، حتى أن المجتمعات الأوربية النصرانية- حتى نهاية العصور الوسطى-كانت تشك في إنسانية المرأة هل هي إنسان أم لا؟! . وبلغ من ظلم بعض المجتمعات للمرأة أن أوجبت عليها إحراق نفسها إذا مات زوجها كما في البرهمية بالهند.

أما في المجتمع العربي قبل الإسلام: فقد وجدت عادة وأد البنات عند بعض القبائل العربية (أي: دفنهن وهن أحياء خوف العار) ، كما أن المرأة عندهم لا تترث بل قد تورث كأبي سلعة أو مال. وجاء الإسلام ليعطي للمرأة حقوقها الكاملة ، ويكرمها ، ويرفع من مكانتها. ويتضح ذلك مما يلي:

١- أعلن المساواة الكاملة بين المرأة والرجل في الإنسانية والإيمان. يقول تعالى: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ)) ، وقوله تعالى: ((الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)).

٢- رفع الإسلام الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية؛ فحرّم وأد البنات ، وألغى نظام وراثتها كسائر السلع ، وأشركها في الميراث مع الرجل ، وإذا كان قد جعل نصيبها من الميراث نصف ميراث الرجل فإن هذا لم يكن إلا تقديراً للواجبات والتكاليف المالية التي أوجبها الإسلام على الرجل من النفقة على الأولاد والزوجة والوالدين ومن يعولهم شرعاً. فلو مات ميت عن ابن وبنت مثلاً: فإن للإبن ثلثا المال وللبنات ثلث المال. لكن يترتب على الابن أن يدفع مهراً عند زواجه

ونفقة على زوجته وأولاده ، بينما البنت: سيُدفع لها مهر ولا تجب عليها أي نفقة حتى على نفسها ، بل تكون النفقة على زوجها. وهكذا.

٣- أعطى الإسلام للمرأة حقوقها الشخصية ، مثل: حق التصرف بمالها شراءً وبيعاً وهبةً دون أن يكون للرجل -حتى زوجها- سلطة على مالها أو أخذ شيء منه إلا برضاها. وهذا الحق لم تمنحه حتى القوانين الوضعية في البلاد الأوروبية التي تدعي التحضر والتمدن. ففي فرنسا حتى عام ١٩٣٩م: لا يسمح القانون هناك للمرأة بالتصرف بمالها إلا بإذن زوجها ، ثم عدّل القانون بإعطاء المرأة شيئاً من الحرية في التصرف بمالها لكن مع بعض القيود أيضاً. وفي ألمانيا الغربية: لم يعط القانون هناك للمرأة حق اقتناء الممتلكات حتى عام ١٩٥٧م (٦) ، بل إن نظام العمل والأجور في أوروبا وأمريكا لازال حتى الآن ينقص أجر المرأة المالي بالنسبة للرجل. فيصل في بريطانيا مثلاً إلى ٧٥% من أجر الرجل مع تساويهما في الوظيفة ونوع العمل (٧).

٤- الإسلام كفل للمرأة الحياة الكريمة في جميع مراحل حياتها بنتاً أو زوجةً أو أمّاً. فالبنت: لها على والدها حق النفقة والرعاية التامة كأخواتها ، والزوجة: لها على زوجها حق النفقة والرعاية والمعاملة بالمعروف قولاً وعملاً ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي" (٨).

أما الأم: فقد أعطى الإسلام لها حقوقاً كبيرة من التكريم والنفقة والعطف وخفض الجناح. يقول تعالى عن حق الوالدين: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا)) [الإسراء: ٢٤]. بل حق الأم يفوق حق الأب بنسبة ٣ : ١ ، فقد جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك". وهكذا نرى أن الإسلام يزيد من تكريم المرأة كلما كبرت وأصبحت بحاجة إلى الرعاية، بينما نرى في المجتمعات غير الإسلامية اهتماماً بالمرأة مادامت في جمالها وشبابها ، ثم نسيانها بعد أن تتقدم بها السن. ولهذا تكثر في المجتمعات الأوروبية العجائز اللاتي يسكن لوحدهن ، وكثيراً ما تمرض أو تموت دون علم أولادها بها قربوا في المسافة أم بعدوا؟.

٥- ونتيجة لشدة عاطفة المرأة وتأثرها الشديد بالمواقف: جعل الإسلام شهادتها نصف شهادة الرجل: ((أَنَّ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)) [البقرة: ٢٨٢]. ويقول -صلى الله عليه وسلم- عن النساء: "... وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لي لب منكن. قالت امرأة: يا رسول الله ؛ وما نقصان العقل والدين؟؛ قال: أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي ، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين" (٩).

٦- وأخيراً؛ فإن الإسلام يجعل من رعاية الرجل لابنته أو أخته عبادة يؤجر عليها. يقول -صلى الله عليه وسلم-: "من ابتلي من البنات بشيء ، فأحسن إليهن: كن له سِتراً من النار". وقال أيضاً: "من عال جاريتين حتى تبلغا: جاء يوم القيامة أنا وهو ؛ وضم أصابعه" (١٠).

الهوامش:

- ١- رواه الجماعة. (والباء): المهر. (وجاء): كاسر لحدة الشهوة.
- ٢- رواه الترمذي.
- ٣- انظر مثلاً كتاب النكاح في زاد المستقنع للحجاوي.
- ٤- حديث: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، ليس صحيحاً. (التحرير).

- ٥- عن كتاب علم الاجتماع ، تأليف د. عبد الكريم عثمان وآخرون ، ص ١٤٢ ، ١٤٥ ،
 ٦- عن كتاب علم الاجتماع ، تأليف د. عبد الكريم عثمان وآخرون ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ .
 ٧- عن مجلة البيان ، العدد الخامس ، ص ٥٤ ،
 ٨- رواه الترمذي ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير .
 ٩- ١٠- رواه مسلم ٤ / ٢٧٠ ٢٠ .

وكتب الأخ سعد بن حمود العرموش ، من الرياض - السعودية ، الرسالة التالية ، ننشرها لأهميتها.

أخي الفاضل مدير تحرير مجلة "البيان" المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:

فقد اطلعت على بعض أعداد مجلتكم ، بل مجلتنا الحبيبة "البيان" ، وقد سررت أعظم السرور عند قراءتها ، ولكن الطريقة التي تعرفت بها على المجلة كانت عن طريق الصدفة أو القدر على الأصح. فقد دخلت ذات يوم مع زميل لي مكتبة قريبة من منزلنا ، فوجدت وعلى غير المعتاد أربعة أعداد من مجلة تحمل اسم "البيان" كانت موضوعة فوق طاولة المحاسب عند مدخل المكتبة ، ربما ليتعرف عليها كل من يدخل ، لا أدري. لم أعرها وزميلي أي اهتمام ، ربما لكثرة المجلات والصحف والنشرات التي تغص بها جنبات كل مكتبة وليس فيها من المفيد إلا القليل. وأثناء الدفع أخذت أقلب صفحات أحد الأعداد ، قرأت صفحة العنوان ، أعجبنى الاسم ، عرفت هوية المجلة ومصدرها ، وعرفت أن لها توجهاً إسلامياً؛ فتساءلت يا ترى:

- هل هي مثل كل المجلات الإسلامية في وقتنا الحاضر - أو قل: أغلبها- ذات ميول مذهبية أو حزبية؟ وهل هي لسان لنظام من الأنظمة التي تكاد تكون أكثر من تابعيها؟

- وهل تعتمد على مبدأ الثورية والحركية العمياء دون تأسيس أو تأصيل في النفوس ، ودون زرع لمبادئ الدين الحنيف في نفوس القراء ، ثم تعاهد هذا الزرع ورعايته؟

- هل هي ذات هدف مادي بحت؛ فتعتمد على حشد الأوراق المسودة ببعض الحبر على شكل أسطر للقراءة ، دون نظر إلى المادة والمضمون؟

- هل تشد القارئ وتغوص به في بحر مشكلاتنا المعاصرة ، أم أنها تركز على الجانب المعرفي فقط؟

كل هذه التساؤلات خطرت ببالي خلال أقل من دقيقة ، فأخذت أبحث عن الجواب من خلال صفحات أحد الأعداد الموجودة أمامي. كانت الأعداد من الثاني إلى الخامس (أي: أربعة أعداد فقط) ، فوقعت يدي على العدد الثالث ، فتحت صفحة المحتوى فوقعت عيني على ما أثلج صدري:

- منهجُ المجلةِ منهجُ أهل السنة والجماعة ، والحمد لله. ونعم المنهج هو. كيف لا وهو منهجُ معينه الذي لا ينضب: الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف

-خطها في سبيل الدعوة: خطُ السلف: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)) الآية. ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)).

-مبدأها في النقد: "الدين النصيحة ، قالوا: لمن يا رسول الله. قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

-وفي التجريح: ((لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ)).

إخواني القائمين على مجلة "البيان":

مجلتكم متميزة ، ونزيهة جداً ، ومحتواها ممتاز جداً ، ولكن لي بعض الملاحظات التي أحب أن أبدوها ، وهي صغيرة جداً ولا تقلل من قيمة هذا الجهد الجبار الذي أخرج لنا هذه المجلة الفتية ، وربما تكون بعض هذه الملاحظات اقتراحات ، وأرجو أن تتقبلوها بصدق ورحب .
- الإخراج: إخراج المجلة يجب أن يكون أفضل مما هو عليه الآن ، فالأولى أن تشتمل المجلة على فواصل زخرفية وعلى عناوين كبيرة نسبياً .

- يلاحظ أن "البيان" لا تخاطب فئة معينة من المسلمين هم الفئة المثقفة ، أو قل :من هم فوق سن العشرين من الشباب الجادين ، وأقول:"الجادين" لأن هناك فئة ونوع من الشباب لا يقبل المواد جافة هكذا ، لا بد من عنصر مشوق في المجلة يجذب إليها جميع فئات المجتمع المسلم. إذاً فلا بد من وجود أبواب متميزة للمرأة المسلمة المستهدفة من جميع أعداء الإسلام. ولا تكون أبواب المرأة على غرار المجالات الأخرى أبواب ركيكة ورتيبة. بل تكون جامعة بين الجد والتشويق والتوجيه.
- وكذلك أرى أن توجه المجلة بعض صفحاتها لتوجيه الطفل المسلم ، جامعةً بين عناصر التشويق والبساطة المفيدة. كأن تعتمد على الأسلوب القصصي المباشر ، وغير ذلك من الأساليب التي لا نشك أنكم تعرفونها جيداً .

- لم تعرض المجلة من خلال القسم المتعلق بشؤون العالم الإسلامي ومشكلاته في أعدادها السابقة إلى أي إشارة أو تحليل أو خبر عن إخواننا المستضعفين في جمهوريات السوفييت الجنوبية المسلمة. ولا إخواننا المضطهدين في أوربا الشرقية [يوغسلافيا - المجر - بلغاريا...].
وهذان الجزءان العزيزان من وطننا الإسلامي يهمننا جداً معرفة أخبارهم وأحوالهم ومشكلاتهم ، ولكننا لم نتمكن من ذلك بسبب الهوة الإعلامية السحيقة التي تفصل بيننا وبينهم ، فإعلامنا المحلي مقاطع لكل ما هو شرقي ، اللهم إلا بعض الأخبار القصيرة بين الفينة والفينة ، مما لا يفي بالغرض المطلوب .

لذلك نرجو من مجلتنا "البيان" متابعة أحوال أهل قبلتنا وإخواننا في هذه البقاع بخاصة ، وجميع بقاع الأرض عامة ، متابعة دقيقة ومتواصلة. يقول قدوة أهل القبلة: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

- كثير من كتاب "البيان" الأفاضل لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم ، ، ونتعرف على شخصياتهم من خلال كتاباتهم فقط . حبذا لو وُضع تعريف موجز بكتاب كل مقال بجانب ذلك المقال ، ولا يستمر ذلك فترة طويلة ؛حتى نتعرف على كتّابنا؛ وتتقارب قلوبنا أكثر وأكثر ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

- تطول مدة انتظارنا للعدد الجديد. فحبذا لو قلصت الفترة بين العدد والذي يليه ، فلو كانت "البيان" أسبوعية ، فهذه أمنية ، ولو كانت نصف شهرية فهي منّا بالقبول حريّة ، وإن أصبحت شهرية فسيطول شوقنا إلى مشوقتنا. وإن لم يأت شيء من ذلك فسنحمل كونها تصدر كل شهرين ، وذلك تقديراً منا لظروف إخواننا القائمين على "البيان" - أعانهم الله- .

بعد قراءتي للأعداد الأربعة الماضية عزمت على الكتابة إليكم وطلب الاشتراك في هذه المجلة التي نحسبها- إن شاء الله- ستكون درّة المجالات الإسلامية. ولكنني فوجئت بعدم تحديد رسوم الاشتراك ، وعلمت من خلال ردود بريد القراء (العدد الرابع) أن هناك مشكلة في عملية الشحن ومع الموزعين ، أرجو من الله أن يساعدكم على تخطي هذه العقبات .

كما فوجئت باختلاف سعر النسخة من عدد إلى عدد ، وهذا ما لم نعهده في أي مجلة ، أرجو أيضاً أن يتم تلافي ذلك مستقبلاً- إن شاء الله- .

وختاماً أرجو أن تتقبلوا هذه الملاحظات الصغيرة بصدر واسع رحب ، وكما قدمت فهذه الملاحظات لا تقلل أبداً من قيمة جهدكم الكبير بل هي من باب التناصح وإهداء العيوب. وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير ، وسدد على طريق الحق خطاكم ، إنه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**أخوكم / سعد بن حمود بن سعد العرموش
المجلة**

ملحوظاتك يا أخ سعد موضع اهتمام المجلة.. ومخاطبة الناشئة والمرأة ندرسه بعناية من قبل صدور العدد الأول من "البيان" ، وتحديد قيمة الاشتراك تجده في موضع آخر من هذا العدد.. والقائمون يحرصون أشد الحرص على أن تكون المجلة شهرية ، ولعلنا نوفق إلى تحقيق هذه الرغبة قريباً إن شاء الله. أما الإخراج فنظن أن فيه بعض التحسن الذي يتناسب مع موضوع هذه المجلة وأهدافها.. ونرجو أن نتحفنا دوماً برسائلك القيمة ، وفقنا الله وإياك لكل خير.

ومن الأخ الفاضل أبي بلال - صنعاء - وردتنا الرسالة التالية:

الأخوة الأفاضل: أسرة تحرير البيان المكرمون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد:

فأحب أن أوجه إليكم جزيل الشكر ، وخالص الحب والود ، لما تبذلونه من جهد في تحرير "البيان" ، وفي التحسين المستمر الذي نلمسه عدداً بعد عدد ، وقد سرني أن أرى التوجه الجاد لإخراج "البيان" إلى القراء المسلمين ، باعتبارها مجلة كل مسلم يعتز بالسنة ويسعى للجماعة ، وباعتبارها مجلة لتبصير كل مسلم ، من أهل السنة ، ومن غيرهم ، ولدعوة كل مسلم يحب السنة إلى نهج السنة ، وسلوك طريق الإصلاح والتأليف ، دون إثارة الضغائن ، أو تحريك الكوامن. ودون أن تخص باهتمامها طائفة من المسلمين دون غيرهم ، أو تكون لساناً لبعضهم ، بل هي لسان الحق الذي ينتسب إليه المسلمون كلهم ، إليه تدعو ، ومعه تدور حيث دار.

ومما أحب تذكير الأخوة أسرة تحرير "البيان" به:

١ - الاهتمام بدعوة كل مسلم إلى منهج السنة والجماعة ، ومخاطبة قلوب المسلمين وعقولهم بكلمة الحق ، وبيانه لهم ، وتعريفهم به عن كثب.

٢ - تشجيع الأبحاث والمقالات التي تهتم بترجمة المبادئ والأصول ، وتحويلها إلى برامج عملية قابلة للتجسيد الواقعي و الحركة الفعلية ، وذلك كخطوة أولية للخروج من دائرة الطرح النظري أو الجدلي في كثير من الأحيان ، ومن أجل الإسهام في تأصيل الحركة الإسلامية ودفعها وترشيدها.

٣ - الاهتمام بإيجاد منظور منهجي متكامل للحركة الإسلامية عموماً ، يقوم على العقيدة الصحيحة ، وينطلق من الأصول التشريعية ، والخصائص الحضارية للإسلام.

٤ - العمل على استيعاب كافة الاهتمامات والميول المشروعة لدى مختلف النوعيات التي تريد المجلة إسماعها صوتها ، والتحاور والتخاطب معها.

٥ - إحياء الوعي لدى جمهور المسلمين ، والتأكيد على ارتباط النتيجة بالسبب ارتباطاً سننياً ثابتاً. وأن مسألة نهوض الأمة ليست مرتبطة بالانتماءات أو الأماني ، بل ترجع إلى حسن الفهم وجدية العمل.

ثم أسأل الله لي وللمسلمين ، أن يبصرنا ويؤتينا رشدنا ، وأن يثبت أقدامنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلة

جزى الله الأخ أبا بلال كل خير على نصائحه القيمة وعواطفه الطيبة نحو المجلة.. ومعذرة على ما حذفنا من رسالته لأننا لا نريد الردود وما تجر من سلبيات.. ومع ذلك فنحن نقدر للأخ بُعد نظرتة.. ونرجو أن لا يبخل على المجلة بقلمه الطيب؛ فهو من أصحابها، ونود أن يلاحظ أهداف المجلة في كل ما يكتب، والله الموفق.

ستشرق الشمس

شعر: علي محمد

كان الولاء لديني في رُبا بلدي فعاد حقاً لأهل الحي والبلد
لو تصبح النفس طوع الوحي في أدب تأبى الميوعة في دين ومعتقد
ويسلك العقل منهاجاً له أطر من التثبيت لم يجنح ولم يحد
بعد التحرر من أوهام فلسفة أو منطلق لبني اليونان معتمد
أو هرطقات لأوباش هنادكة قالوا بوحدة رب الخلق والجمد
أو من تعصب بدعي لبدعته يظن خيراً بقطب الغوث والوتد
قد يأذن الله في تفريج كربتنا ويبصر الدرب من يشكو من الرمذ
قل لي بربك ما تركيب أدمغة تعطي العبيد مقام الواحد الأحد
من يعصب العين لا تحمد عواقبه وحاطب الليل لا يجني سوى الزبد
وسالك الدرب إن يدرك معالمه إدراك مجتهد فذٍ ومنتد
ويتق الله في الأسباب كاملة وفق النواميس لم يضعف ولم يحد
سيدرك النصر إن يأذن به صمد بعد امتحان بخير المال والولد
ودولة الظلم لن تبقى إلى أمد وهل تدوم وما دامت إلى أحد
ستشرق الشمس لا تجزع لغيبتها ويبزغ الفجر فوق السهل والنجد
وترجع القدس تزهو في مآذنها وعد الإله الكريم المنعم الصمد

في الصومال... مجاعة

الجارديان ١٠ / ٧ / ١٩٨٧م

ذكرت وكالات الغوث العالمية أن (٢٠٠) ألف شخص في مناطق وسط الصومال باتوا في حاجة ملحة إلى مواد غذائية، حيث بلغ معدل الوفيات بين الأطفال في بعض القرى (١٥) طفلاً في اليوم الواحد.
وكانت أمطار غزيرة في أعقاب عامين من الجفاف قد أهلكت الكثير من الإبل والماعز والدواجن.
والمراسلون الصحفيون يحذرون من أن يتحول الصومال إلى أثيوبيا ثانية، فالموت يحصد الألوف، والأحياء يعيشون حالة حرمان شديدة بسبب هلاك المواشي، وازداد الأمر سوءاً بعد هطول الأمطار الغزيرة التي تسببت في تفشي الأوبئة التي تنتقل بواسطة المياه.

أدب وتاريخ قصيدة وموقف

لخبيب بن عدي "رضي الله عنه"

المناسبة والشاعر (١):

خبيب بن عدي: صحابي جليل من الأوس ، وقارئ داعية إلى دينه ، كان في البعثة التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم- إلى نجد- ، حيث قدم على رسول الله بعد أحد رهط من (عُضَل والقارة) وقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً؛ فابعث معنا نفرأً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرؤوننا القرآن ، ويُعلموننا شرائع الإسلام.. فبعث رسول الله نفرأً ، منهم: خبيب بن الدثنة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .. حتى إذا كانوا على الرجيع -ماء لهذيل بين عسفان ومكة - استصرخوا عليهم هذيلأً وغدروا بالصحابية، فمنهم قتيل وأسير.

أسر خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ، وقدم المشركون بهما مكة ، (قال ابن هشام): فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.. حيث إن خبيباً كان قد قتل في بدر الحارث بن عامر من أهل مكة.. فقتلته قريش ثأراً لصاحبهم ، وتشفيأً بعباد الله المؤمنين.

سُجن الصحابي الجليل انتظاراً لتنفيذ الجريمة البشعة فيه ، حيث خرجت به قريش إلى التنعيم (خارج حدود الحرم) ، وصلى ركعتين خفيفتين، واجتمع الرجال والنساء والأطفال يحضرون مصرع الصحابي الجليل وصلبه ، وعندما رفع إلى خشبته وأوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً.

وفي هذا الموقف العصيب قال هذه القصيدة:

- ١- لقد جمّع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمع
- ٢- وكلهم مُبدي العداوة جاهدٌ عليّ لأنني في وثاقي بمضيع
- ٣- وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم وقُربت من جذع طويل مُمنع
- ٤- إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أُرصد الأحزابُ لي عند مصرعي
- ٥- فذا العرشِ صبرني على ما يُراد بي فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
- ٦- وذلك في ذات الإله وإن يشأً يبارك على أوصالِ شلُو ممزَع
- ٧- وقد خيروني الكفرَ، والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
- ٨- وما بي حذارُ الموت ، إنني لميئتُ ولكن حذاري جحم نار مُلفع
- ٩- فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
- ١٠- ولست بمبدي للعدو تخشعاً ولا جزعاً ، إنني إلى الله مرجعي

المفردات الغريبة:

- ٥- ياس: أصلها يئس ، فخففت.
- ٦- أوصال: أعضاء مقطعة. شلو: ضعيف.
- ٨ - جَحْم: الملتهب. الملفع: المضطرم. جحم نار ملفع: في "الاستيعاب": حر نار تلعف.
- ٩ - وفي رواية: (مضجعي) بدل مصرعي.

في جَوِّ الأبيات:

- ١- إن الصحابي الجليل يصور غربته وسط جَوِّ جاهلي حاقد، فقد تجمع المشركون حوله، يُبدون العداوة، يشتمون بإراقة دم المسلم الطاهر النقي، ولا ذنب له إلا أن يعلن إسلامه صادقاً، جمعوا الأبناء والنساء، وقد قربوه من جذع ليصلبوه عليه، عرضوا عليه الكفر فضل الموت: "وقد خيروني الكفر والموت دونه".
- وهكذا المشركون في كل عصر، و الطواغيت في كل حين، مطلبهم واحد من المؤمنين: أن يتركوا دينهم، وإلا فهم متزمتون، متطرفون، رجعيون، أعداء الوطن.
- ٢- وها هو مسلم اليوم يعيش في غربته القاتلة، ولكن طوبى للغرباء، فالصحابي يشكو غربته وكربته وما أرصد له الأحزاب عند مصرعه..
- ويدور الزمن دورته وإذا بالمؤمنين يفرون بدينهم في فجاج الأرض، وهم يحسون الغربة والكربة، يلاحقون ويضطهدون، ويضيق عليهم في كل أرض... يقبضون على الجمر ماداموا يتمسكون بعقيدتهم، ولا يساومون عليها.
- ٣- إن والي حمص - سعيد بن عامر الجمحي - رضي الله عنه - أيام أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كان ممن حضر مصرع خبيب ودعوته في الجاهلية، يقول سعيد بن عامر. "فوالله ما خطرت على قلبي دعوة خبيب وأنا في مجلس قط إلا غشي علي".
- كم من المسلمين اليوم من يُرفع على أعواد المشانق، وكم من المؤمنين من يُقتلون بالعشرات، والجرافات تواريهم في قبور جماعية. وقد يكون من بينهم بعض الأحياء! وكم من ليالٍ لجيران أقيبة التعذيب لا تدع لأصحابها فرصة للنوم، من أنين المعذبين المضطهدين!؟
- ومسلمو العصر الحديث لا يحركون ساكناً، وأحفاد سعيد بن عامر - رضي الله عنه - لا يرف لهم جفن عندما يسمعون بهذه المآسي.. بلَّه الغيبوبة التي كانت تصيب الصحابي الجليل الوالي الوريح.. أين كلمات الحق التي تقال؟ أين الإنصاف، ولا ذنب لهؤلاء إلا أن قالوا: ربنا الله!؟
- إن منطق الجاهلية الحديثة، جاهلية القرن العشرين يقول: إن هؤلاء وأمثالهم مشاكسون متطرفون، يجب أن يخضعوا ويتركوا إثارة القلاقل، وإعلان دعوة التوحيد؛ لأن الدين قضية شخصية لا تحتاج إلى كل هذا!؟
- وقديماً قال المنافقون في شهداء الرجيع مثل هذا القول. يقول ابن إسحاق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (٢): لما أصيبت السرية - في الرجيع - قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفترين الذين هلكوا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل تعالى قوله: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَامُ)) [البقرة: ٢٠٤].
- ٤- إن الصحابي البدري القارئ، إنسان يشعر بكيد الجاهلية، وتذرف عيناه الدمع من غير جزع، فما هو بخائف من الموت، فالموت حق، ولو لم يمت بحد السيف مات بغيره، ولكنه يخشى ألا يكون قد قام بحق الدعوة، وحق الإسلام، إنه يخشى مسَّ النار الملتهبة..
- إن الذي يموت على الإسلام، لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه ما دام في سبيل الله. ولن يبدي للعدو جزعاً ولا تردداً، ولا تراجعاً، فنفس المؤمن عزيزة، فهو صاحب دعوة، أدى رسالة رسول الله "اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسواك فبلغه الغداة ما يصنع بنا"، "اللهم اقتلهم ببدأ، ولا تغادر منهم أحداً".

٥- إن خبيباً مثال التضحية والفداء في السراء والضراء ، وأين منه أدياء البطولة - في أيامنا الحاضرة - وقت الرخاء ومواتاة الظروف؟! ، وإذا ما تنكرت لهم الأيام انقلبوا خائبين إلى أحضان أعدائهم ولو كانوا من المشركين!.

إن العقيدة الصلبة ، والتربية الإيمانية ، هي التي تفرق بين أجيالنا وجيل الذروة ، جيل القمة السابقة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

واستمع إلى قول زيد بن الدثنة-رضي الله عنه-عندما قدم ليقتل في التنعيم أيضاً:

قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ قال: "لا والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي".

قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قُتل- رحمه الله-.

(٣).

هكذا تكون التربية العقديّة ، ولا مخلص لنا مما نحن فيه إلا بالعودة إلى هذه التربية القرآنية الإيمانية الخالصة لوجهه تعالى.. بعيدة عن كل شائبة.

٦- لا بد من التربية الصلبة التي ربّي عليها أصحاب رسول الله؛ حتى يستطيع المسلمون اليوم أن يثبتوا للجاهلية الجديدة والغربة الثانية.

فالملا من قريش الذين أعدموا الصحابة في التنعيم موجودون في معظم أنحاء العالم الإسلامي ولو تغيرت اللغات والأسماء ، هنالك قريش وهذيل وبقية المشركين في جزيرة العرب ، وهنا: الشيوعية ، والأحزاب العلمانية ، والباطنية ، والطواغيت التي ترفض تحكيم شرع الله..

٧- وأخيراً أختتم هذه الخواطر (من وحي القصيدة) بأبيات لشاعر الدعوة الإسلامية حسان بن ثابت - رضي الله عنه-يرثي فيها خبيب بن عدي -رضي الله عنه-عندما قتل صبوراً بمكة(٤):

١- ما بال عينك لا ترقا مدامعها شحاً على الصدر، مثل اللؤلؤ الفلق
 ٢- على خبيب، وفي الرحمن مصرعهُ لا فشل حين تلقاه ولا نزق
 ٣- فاذهب خبيب، جزاك الله طيبةً وجنة الخلد عند الحور في الرُفق
 ٤- ماذا تقولون إن قال النبي لكم حين الملائكة الأبرارُ في الأفق
 ٥- فيما قتلتم شهيداً الله في رجلٍ طاغ قد أوعث في البلدان والطرق

هكذا كانت عين حسان -رضي الله عنه-- وأمثاله من المؤمنين - لا ترقاً مدامعها ، تنهمر غزيرة على خداع الجاهلية وضلالات الشرك التي أودت بأهل الرجيع ، سرية القراء والدعوة إلى الله.. وهكذا يكون التعاطف بين المؤمنين ، ويكون الرثاء في معاني جديدة ، معاني الإسلام ؛ "الجنة ، والملائكة ، والشهادة".

الهوامش:

١- الإصابة ١/ ٤١٨ ، الاستيعاب ١/ ٤٣٠ ، وابن هشام ٢/ ١٧٠،-١٧٧

٢- السيرة النبوية: ابن هشام ٢/ ١٧٤،

٣- سيرة ابن هشام: ٢/ ١٧٢،

٤- ديوان حسان: ص ١٦٨.

الغريب: - اللؤلؤ الفلق: شبه انتشار الدمع بانتثار اللؤلؤ المنفلق. لا ترقاً: لا تجف.

- في البيت الرابع: يقصد يوم القيامة.

- أوعث: أفسد "ويشير إلى: الحارث بن عامر الذي قتله خبيب يوم بدر".

لابد من التحقيق.. ولكن..

منصور الأحمد

- ١ -

من المتفق عليه بين الباحثين أن علم الحديث بمنهجيته وأصوله وتطبيقاته ؛ من مزايا الأمة الإسلامية ، ومما تفردت به دون الأمم كلها ، وأنه علم من مبدئه إلى منتهاه إسلامي الانبثاق والنشأة والكمال.

وهو باختصار شديد علم يهدف إلى توثيق النصوص المنقولة ، والتمييز بين ما يصلح أن يكون أصلاً ومستنداً للحكم الشرعي وما لا يصلح لذلك.

وليس المقام مقام استرسال في بيان حدود هذا العلم ، والخوض في مسائله الواسعة ؛ وإنما هناك حاجة إلى التنبيه إلى بعض القضايا نراها جديرة بالاهتمام وتستحق من القارئ الكريم التفاتة ونظرة فيها شيء من التأمل.

- ٢ -

لقد مر علم الحديث بفترات مختلفة ، فنجد أن العصر الذهبي لهذا العلم قد شغل القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، حيث نشط العلماء في الرحلة والتدوين ، وحفظت السنة النبوية في دواوينها المعتمدة ، وعكف العلماء وطلبة العلم عليها مقابلة وتمحيصاً وفهماً.

والفترة الثانية كانت فترة توسع وانبساط واشتغال بكثرة الطرق ، وحرص على النادر من طرق الرواية ، وإن كان كل ذلك لم يؤد إلا إلى أقل القليل من الإضافة إلى ما هو معروف من النصوص المعروفة والمشهورة والتي عليها مدار الاستنباط.

وخلال هذه الفترة لاحظنا شيئاً من الخلل حصل نتيجة التباعد بمن علمي الحديث والفقهاء في الفترة الأولى كان غالب الفقهاء محدثين ، وغالب المحدثين فقهاء ، وهذا هو الشيء الطبيعي لإنتاج ثقافة أصيلة نافعة ، ولكن في الفترة الثانية حصل شيء من التباعد بين هذين الاختصاصين اللذين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فأصبحنا نرى مؤلفين في الفقه لا علم لهم بالحديث ، ومؤلفين في الحديث لا علم لهم بالفقه إلا في القليل النادر.

ولكن من حسن حظ علم الحديث أن هيئ له في آخر هذه الفترة عالم فذ ، كان محدثاً وفقهياً هو العلامة الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله ، والذي ألف كتابه "فتح الباري" فكان خدمة عظيمة للفقه القائم على الحديث ، ولدراسة الحديث القائمة على الفقه الواسع والبصر به رواية ودراسة. وهناك فئة ثالثة نشأت في هذه الفترة ، واستمر تأثيرها السلبي في الثقافة الإسلامية إلى عصر نهضة المسلمين في هذا القرن ، وهذه الفئة حشدت في مؤلفاتها روايات باطلة وضعيفة ، وسودت صفحاتها بما هب ودب من الأخبار والآثار ، دون تمحيص وتدقيق ، وسرت هذه الأخبار والروايات كمسلمات عند كثير من المسلمين فيما بعد فكان لها أثرها السيء الذي أوقعهم في دوامة من التبريرات والردود ، وشغلهم في الدفاع عن أباطيلهم في أغلب الأحيان.

والناظر في كثير من كتب التفسير والفقه والوعظ سيجد أمثلة كثيرة من الإسرائيليات والأحاديث المنكرة ، وكثيراً مما لا يصلح أن يحتج به على الإسلام ، أو يعاب بسببه. ويحمل

وزر ذلك المؤلفون البعيدون عن التحقيق ، والذين أطلق عليهم لقب العلم ، بينما أصدق لقب يمكن أن يطلق عليهم هو لقب: "حاطب الليل".
وفي هذا العصر شعر كثير من المسلمين بواجب التحقيق العلمي للتراث العربي والإسلامي ، ونتج عن ذلك جهود مشكورة تصلح أن تكون مثلاً يحتذى.

- ٣ -

وإذا كان هناك شيء من النقد ؛ فإن كثيراً من الأمور المستحسنة والمطلوبة قد يتعاطاها من لا يحسنها ، أن من ينحرف بها عن هدفها المنشود ، ويسير بها إلى وجهة أخرى قد لا تكون لها علاقة بالعلم وحدوده ، أو التحقيق ومجالاته.

وهناك أمثلة على ظواهر شائعة لا بد من التنبيه عليها:

فهذا مؤلف يؤلف رسالة أو كتاباً في موضوع ما ، ويريد أن يظهر بمظهر العالم النحرير ، فيوهمك - بكثرة هوامشه وإحالاته - أنه قد اطلع على كل ما ذكر في هذه الهوامش ، وبنظرة بسيطة جداً تكتشف أن هذه المراجع التي أشار إليها ليست إلا ما نقله من مؤلف آخر في هذه المسألة!
"وهذا آخر يبحث في قضية يريد أن يستشهد عليها بحديثه، فتدعه نفسه، فيلبس لباس كبار المحدثين ، فيعمد إلى فهارس كتب الحديث فيجمع كل ما ورد من طرق وروايات ، وكل ما قيل حول ذلك من دقائق علم الحديث ؛ مما قد لا يكون له كبير مساس بالموضوع الذي يبحث فيه ، ويكفيه في هذا الصدد أن يكون الحديث صحيحاً في ذاته ، ولو ورد في مرجع واحد ، ولكنه التكلف الذي يخرج البحث عن المقصود ، ويضيع وقت الباحث والقراء فيما لا يعود عليهم بفائدة جديدة.
وهذا ثالث يكتب مقالة قصيرة ، إذا ما قارنتها بما تحتها من حواشٍ لرأيت العجب ، ولكادت تلك الحواشي تعادل نص المقالة!

وليس الاعتراض على أمثال تلك الحالات استهانة بالتحقيق والتوثيق ، ولا بجهود بعض المحققين الذين يبذلون جهوداً مشكورة في تمييز الصحيح من غيره ، والذين كرسوا جهودهم لذلك ، وأنتجوا نتائج طيبة ؛ ولكن اللوم يتجه إلى أولئك النفر الذين لا يفهمون مدلولات الكلام ولا مصطلحات المحدثين ، وليس عندهم الحصيلة الكافية من الفقه بالنصوص، وبالفائدة المرجوة من التخريج، ومع ذلك يستسهلون الصعب ، ويتقحمون فيما لا يحسنون ويتجرءون على الخوض في أمور أولى بهم أن يتركوها لمن يحسنها.

إننا بحاجة إلى التركيز في بحثنا ، والبعد عما لا فائدة منه من التكرار وزيادة البسط والشرح في أمور قد بحثت ، والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إلى استخلاص النافع الذي لا بد منه لكل نهضة ، والقادر على الثبات أمام الأفكار الوافدة التي تكاد تعصف بالأمة في غيبة المنهجية في البحث ، ولا بد من البعد عن إثارة القضايا الجانبية التي تستهلك الجهود ولا تؤدي إلى كبير نفع ، والأمور التي يحتاج إليها المسلمون من السعة والكثرة بالقدر الذي يحتم عليهم التخصص وفرز العناصر والبعد عن "الموسوعية" وادعاء العلم بكل شيء ، وليس عيباً اليوم أن تعرف جانباً من العلم وتنتقنه وتحسن التحرك من خلاله ؛ وأن تجيب عن جوانب أخرى أو علوم أخرى بـ "لا أدري" ؛ ولكن العيب كل العيب ، أن تدعي معرفة كل شيء وتخوض في كل اتجاه خوضاً سطحياً لا يؤدي إلى شيء ، وبهذا تجرد الأفكار ، وتقترب الثقافة.

وذكرهم بأيام الله... محطم الأصنام

اختيار: محمد العبدية

جاء في "البداية والنهاية" لابن كثير في حوادث سنة ٤١٨ هـ ، وفي "الكامل" لابن الأثير في حوادث ٤١٦ هـ عن فتوحات السلطان محمود بن سبكتكين (محمود الغزنوي) في الهند ما يلي: "وفي هذه السنة ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بـ (سومنا)، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق وتزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه، على مذهب التتاسخ، وكانوا يحملون إليه كل علق نفيس ، ويعطون سدنته كل مال جزيل ، ويحمل إليه الماء من نهر (الغانج) ما يغسل به ، ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته ، وثلاثمائة رجل يلقون رؤوس زواره".

وكان السلطان محمود كلما فتح من الهند فتحاً وكسر صنماً يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها (سومنا)، ولو أنه راضٍ عنها لأهلك من تقصدها بسوء، فلما بلغ ذلك السلطان عزم على غزوه وإهلاكه ظناً منه أن الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا في الإسلام ، فاستخار الله تعالى ، وسار من غزنة عاشر شعبان من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة ، وسلك سبيل (الملتان) ، وفي طريقه إلى الهند بريّة قفر ، لا ساكن فيها ولا ماء ، فتجهز هو وعسكره على قدرها ، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة ، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصوناً مشحونة بالرجال ، فيسر الله تعالى فتحها ، ثم سار إلى سومنا فلقى في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنا على ما سول لهم الشيطان ، فقاتل من فيها وفتحها وضربها وكسر أصنامها ، ثم سار إلى سومنا فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة ، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر ، فلما كان الغد وهو الجمعة زحف وقاتل من به ، فرأى الهنود من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله ، وقاتل الهنود على باب الصنم أشد القتال ، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى سومنا فيعتنقونه ويبيكون ويخرجون فيقاتلون إلى أن يُقتلوا ، حتى كاد الفناء يستوعبهم ، فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما ، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعضٌ ، وأخذ السلطان الصنم سومنا وكسر وأحرق بعضه.

وكان الهنود قد بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير الله -عز وجل- ، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر؛ فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة: "أين محمود الذي كسر الصنم" ، أحب إلى من أن يقال: "الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا". ثم عزم فكسره؛ فوجد عليه من الجواهر واللآلئ والذهب ما ينيف على ما بذلوه ، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل. فرحمه الله وأكرم مثواه.

احتدمت المعارك بين إخواننا المجاهدين الأفغان والعدو الشيوعي في ٢٩ رمضان الماضي.. وشملت هذه المعارك منطقة [جاجي] ولاية بكتيا ، ومنطقة [جلال آباد] ولاية ننكرهار. وكان العدو الشيوعي قد رمى بثقله في المعركة لأن قوافل إمدادات المجاهدين تنطلق من هاتين المنطقتين ، وأهم فترة يتم فيها الإرسال في فصل الصيف..

وبدأت المعركة بقصف مدفعي ثقيل وجوي عنيف تبعه إنزال قوات (كوماندوس) مع تقدم أرضي ، وتمكن العدو في البداية من احتلال بعض المواقع في [جاجي] ، واستمات المجاهدون في مقاومة البلاشفة ، ومعظمهم كانوا من الاتحاد-السياف- ، واستمرت المعركة حتى غاية ٢٠ شوال الماضي حيث انسحب العدو يجر أذيال الخيبة والهزيمة ..

وكان المجاهدون يقاتلون بأسلحة عادية ، ورغم قلة الزاد والعتاد فلقد أيدهم الله- جلّ وعلا- بنصره. أما معركة [ننكرهار] ، فقد استمرت خمسة أيام ، وشارك فيها: الاتحاد -السياف- ، والحزب الإسلامي - حكمتيار- ، والجمعية - رباني - ، وجماعة يونس خالص.. وهكذا تجلت وحدة فصائل المقاومة في هذه المعركة بشكل جيد؛ والحمد لله.

وكانت الإصابات التي ألحقها المجاهدون بالشيوعيين تزيد على [١٥٠٠] ، بين قتيل وجريح ، وأسروا أكثر من [٥٠] من جنود العدو ، وأسقطوا عدداً من طائرات السوفييت.. وكان من نتائج هذه المعارك سيطرة المجاهدين على بعض النقاط من [بشاور] إلى المناطق الشرقية في أفغانستان.. وهذه نقاط إضافية ، في حين أراد العدو السيطرة على قوافل إمدادات المجاهدين في جاجي وننكرهار. ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))

هذا ما علمناه عن المعارك الأخيرة ، أما الصحف وأجهزة الإعلام الغربية :فقد راحت تتحدث عن الدعم الأمريكي للمجاهدين الأفغان ، وعن صواريخ (ستنجر) وأنها سبب هذا الانتصار [ولمن شاء أن يقرأ : ما كتبه صحيفة "الهيرالد تريبيون" الأمريكية تاريخ ٧ / ٧ / ١٩٨٧ ، نقلاً عن الواشنطن بوست] .

والذي نعلمه علم اليقين أن مثل هذه الصواريخ لم يكن لها وجود في هذه المعارك ، بل قد كانت الأسلحة التي استخدمها المجاهدون عادية جداً ، ومن جهة أخرى فإن صواريخ [ستنجر] وغيرها من الأسلحة التي تعمل على الرادار والكمبيوتر وما شابه ذلك تكون ناجحة في بدء استخدامها ، وهذا النجاح يمكن أن يستمر من أسبوع إلى بضعة أسابيع.. وخلال هذه الفترة الزمنية يكتشف العدو ميزات السلاح وخصائصه ويكتشف ما يبطل مفعوله ، والذين يملكون صاروخ [ستنجر] صاروا يطلقون الصاروخ حتى يكاد يلامس الطائرة ثم ينحرف عنها بسبب [التشويش] ، الذي ينبعث من الطائرة نفسها أو من طائرات [تشويش] تعمل في سماء المعركة ، وهذا ما حصل لصواريخ سام (٦) بعد سبعة أيام من بداية حرب تشرين عام ١٩٧٣ م.

فليحذر القارئ الكريم من الصحف وأجهزة الإعلام الغربية ، وليحذر أيضاً من الصحف العربية التي تنتقل عنها دون تثبت أو تمحيص ، وليعلم أن جند الإسلام هم الذين انتصروا في هذه المعارك وغيرها من المعارك الأخرى ، وقد نصرهم الله -جلّ وعلا- بفضلهم بصدقهم وطلبهم الشهادة في سبيل الله.

وبعد هذه المعارك الطاحنة استدعى السوفييت عميلهم [عدو الله] ، الذي أسماه أبوه نجيب الله ، وبحث مع سيده [جورباتشوف] إمكانية التوصل إلى تسوية للحرب الأفغانية التي ازدادت حدتها في الأشهر الأخيرة.

وأكد عدو الله مجدداً أنه على استعداد للتفاوض مع كل الفئات التي تريد المصالحة ، وقال: إنه على استعداد للاتصال بمؤيدي الملك ظاهر شاه الذي يقيم في المنفى.

ورغم أن نجيب الله كان قد أعلن من جانبه وقفاً لإطلاق النار قبل ستة أشهر ؛ فإن ناطقاً بلسان الخارجية السوفييتية اعترف في الأسبوع الماضي بأن الإصابات بين الجنود السوفييت وجيش كابول ارتفعت خلال الآونة الأخيرة إثر تصعيد المجاهدين الأفغان هجماتهم ضد الشيوعيين. [انظر صحيفة ذي إنديبندانت] ترجمة الصحف العربية ١٩٨٧/٧/٢٢ .

ورفض أعوان ظاهر شاه خدعة عدو الله الجديدة ، وأعلنوا أنهم لن يقبلوا المشاركة في السلطة مع النظام الشيوعي [ومن بينهم مجدي وجيلاني] لأنهم يعرفون بأن الشعب لن يسامحهم على اتخاذ مثل هذا الموقف ، ولبعض أعوان الشاه تجربة سابقة مع الشيوعيين ، ويعرفون غدرهم ومكرهم وأنهم ينقلبون ضد أقرب الناس إليهم.. ومن جهة أخرى: فلا تزال أمريكا غير مطمئنة إلى موقف السوفييت من القضية الأفغانية.

أما إخواننا قادة المجاهدين الذين يحترمهم الأفغان ويثقون بهم: فمواقفهم ثابتة والحمد لله ، فالأخ الشيخ عبد رب الرسول السيف يرفض الحديث عن الحلول السياسية ويقول لمن يسأله: نحن تركنا الكلام عن هذه الحلول لأصحابها ، وكيفينا الحديث عن الجبهات.

وقال أيضاً في رده على مبادرات الشيوعيين الجديدة: ليس من حق الأجانب إعداد وثائق الأمة الأفغانية ، ولن يقبل الشعب بأقل من إقامة دولة إسلامية في بلده.

وقال الأخ الأستاذ حكمتيار

في مقابلة له مع الإذاعة البريطانية عن مفاوضات [كاردويز]:

أولاً: أنا أرى أنها ضياع للوقت ، **والثاني:** غير عادلة ، **والثالث:** أن المفاوضات غير مفيدة ، **والرابع:** أنها ليست بين طرفين أصليين ، **والخامس:** أنها تسبب تعقيد القضية لا حلها.

نسأل الله لنا ولهم الثبات على الحق ، وأن يرزقنا وإياهم الصبر على الابتلاء ، فمهما اشتد الخطر وأدّ لهم الظلام فالنصر آتٍ لا ريب فيه إن شاء الله-.

((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)).

مواقف في الفكر

الإسلامي الحديث

محمد بن حامد الأحمر

أصبح الإسلام موضوع الساعة في العالم ، الكل يكتب ويخطب ويناقش ، وسيطرت قوة الحقيقة الإسلامية على الساحة ، تحقيقاً لوعده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهذا الدين بالظهور إلى قيام الساعة، سواء بالحجة والبيان، كما في العهد المكي، أو بهما إضافة إلى القوة والسلطان كما في العهد المدني (١) وما تلاه، ثم في غالب التاريخ الإسلامي، ففي حال عدم ظهوره بالقوة والسلطان فإن قوة الحجة والبرهان معلومان بالضرورة من بديهيات الإيمان.

ولا غرابة أن نجد كاتباً كافرأً يبدو نصرانياً يقول: "الإسلام يفرض على المجتمع الحديث احترام حقوق الله وحقوق الإنسان ، التي نص عليها القرآن لذلك تسعى الاشتراكية أن تكون إسلامية ،

وتسعى الديموقراطية أن تتلون بالدين" (٢) ، ثم صدرت مقولات كثيرة ، وظهرت سلوكيات تبدو محاببة للإسلام ممن عرفوا بعدائهم له جهراً ، ثم عادوا يتملقونه ويتظاهرون بعدم الاختلاف معه. وربما جعل أحدهم نفسه فقيهاً ومفتياً في مهمات أمور الإسلام ، ركوباً للتيار. وأكتفي بسوق مثال واحد من هؤلاء ألا وهو المطران كابودجي الذي شُهر بالدفاع عن القدس، وقال: إنه تزوج القدس كما تزوج غيره قضية فلسطين ، وزعم أن الله عهد إليه بتحرير القدس. يقول: "كلنا مسلمون ، منا من أسلم على طريق القرآن ومنا من أسلم عن طريق الحكمة.. الرب أبونا" (٣) وعلى ما في الكلمة من خداع لفظي ولكنها من أمثلة التزلف للإسلام من عدو محارب له. إن هذا التوجه والانذفاع للحديث عن الإسلام ودراسته مع إبقاء الأهداف المريبة، يستوجب إظهار قوة ونفوذ الفكر الإسلامي ، وإحسان التعامل مع موجة العداة الجديدة، والهيمنة عليها. ولأن مفاهيم الإسلام جاءت مهيمنة على غيرها ، فأساس هذه المفاهيم ومنبعها أنزله الله مهيمناً على ماعداه.

المواجهة مع أعداء الله فكرية أو عسكرية لا تعرف الهدوء ومن توقع أن الهجمة انتهت أو ضعفت فهو غافل غائب عن ميدان الصراع. ومن المؤسف أن المواجهة الفكرية ، المطلوب من المسلمين القيام بها لا تتناسب في هذه الظروف مع شراسة الهجمة واتساع دائرتها. ويمكن القول أن عدداً قليلاً ونادراً من الإنتاج الفكري الإسلامي اليوم يستحق الاهتمام والدراسة ، أما الغالب فجهود يغلب عليها أسلوب التغزل بمبادئ الإسلام ومثله أو الدفاع والاعتذار ، وتملق الناس ومهادنة أحوالهم السائدة ، وليس بما يمليه الإسلام من علو له على ما سواه وتنفيذ لحكمه مهما بدا في نظر البشر غريباً.

هذه الكتب أو الأعمال الفكرية أيا كان نوعها التي تسودها السطحية وغموض الهدف تنتشر بواسطة الشهرة والصداقة والمعرفة الشخصية في مجتمع اعتاد بعضه على الإملائية الفكرية ، التي تملي على المسلمين القراءة للكاتب المردد لا للكاتب الرائد ، تملي وتوجه إلى القراءة للفكر المهادن للجمود الفكري وليس للفكر الواعي الموقظ. نتيجة لهذا النوع من الفكر تخرج للساحة أعداداً هائلة من المسلمين تتناسب في كل أمورهما مع تلك الثقافة الواهنة الخجلى التي تغذت بها وتعاني مما تعانيه تلك الكتب. ورحم الله إقبال إذ يقول:

جوهر الآساد أضحى خزفأحين صار القوتُ هذا العلفا

إن هذا النوع من الفكر لا يمكن أن يوجد لنا ما نهدف إليه وما يحتاجه المسلمون من قوة معنوية فكرية تكون أساساً للقوة المادية. إن قوة ((وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) كانت روحاً قوية سرت في قلوب الصف الأول فأوجدت ما تبع من قوى. إن القرآن هو مصدر التثقيف والبناء الفكري والتربوي للرسول صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، وعائشة -رضي الله عنه-تقول حين سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم:- كان خلقه القرآن.

فأي جيل يمكن أن يخرج ركام الوهن والجهل والتقليد والتلقية هذه الأيام ، لكم نسخط على التقليد الذي أوهن العقل والروح عند المسلمين. ثم نمارس نفس العيب إنما بأسلوب آخر ما أحرانا أن نخترق هذا الركام ونستصفي منه ما يعيننا لا ما يثقلنا "فإن الغلبة والاستيلاء المعنوي يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي. فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم ، وتستولي أفكارها هي على العقول. أما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصباً من اتباع الغير وتقليده إذ لا يبقى في أفكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة ما يكسبها السيطرة على الأذهان

فيجرفها تيار الأفكار القوية التي تقوم بها الأمة الباحثة المجتهدة" (٤). أما الأفكار المهزومة فهي التي تنجب أجيال الهزيمة فكرياً وفعلاً.

ومما زاد هذا الوهن الفكري تعقيداً وقوعه تحت ما يمكن أن نسميه مشكلة الميراث الثقافي أو التراث. وأحياناً تحت أثر الثقافة الأجنبية الغربية ، فكثيراً ما نجد التراث يسوق الكاتب أو العالم في عراك تاريخي لا علاقة له بالواقع. أو في الجانب الآخر نجد الكاتب يقرر أفكاراً في بعض الأوقات لا تكون إسلامية ثم يبحث عن الشاهد من الآية والحديث لسببين: إما أن تكون مؤيدة لفكرته ، لا مؤسسة لحكم أو موقف فيكون رأيه هو الأساس والآية مؤيدة وليست مؤسسة ؛ أو أن تكون مسوقة للزينة أو ما يسمى بحسن الاستشهاد. وقد تجد الآية أو الحديث على ندرتهما غير متناسقين مع السياق.

إن قيام المسلمين بنقد إنتاجهم الفكري وإبراز الحق فيه وتقويم الأخطاء المتتالية لضرورة ملحة وسط هذا الزخم الذي يتراكم دون أن يجد مقوماً. كيف لا يدرك من يكتبون عن الإسلام أهمية نقد أعمالهم. والنقد وتذكير النفس بعبوبها قاعدة قرآنية ثابتة: ((أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [آل عمران: ١٦٥].

الآ يرى هؤلاء الكتاب أن الله قد خاطب بهذه الآية محمداً وأصحابه حثاً لهم على ملاحظة عيوب النفس والصف واستكمال المحاسن ونفي النقائص ولئلا يعلق المسلمون مصائبهم على مشاجب الاستعمار والشيوعية والقومية.. الخ.

وفي طريق الهروب من النقد نلبس هذه الكتب والأفكار لباس الإسلام وقداسته وكأن كل نقد لها فيه مساس بقديسية الإسلام وجنابه ، وهذا الاتجاه لا يعنى مهابة نقد هذه الأعمال فلم يشفع للأحاديث الضعيفة والموضوعة أن لجأت تحت مظلة الحديث الشريف. بل هناك علماء السنة أستارها. والنقد البناء ضرورة لتخليص الناس من الآراء التي جانبت الصواب. وفي هذا الطريق توضع الأسماء والكتب الصغيرة والكبيرة تحت معيار الكتاب والسنة مع احترام من وفقَّ وعذر غيره وبيان الحق.

الهوامش:

- ١- من شرح ابن تيمية للحديث في الفتاوى.
- ٢- التراث والحداثة ، بولس خوري ، ؟ ، ١٦٢
- ٣- مقالات راشد الغنوشي ، ، ١٢٤
- ٤- نحن والحضارة الغربية ، المودودي ، ص ١٢.

نظرات في الدراسات الاجتماعية

مصادرها ومناهجها

طارق عبد الحليم

تحتل الدراسات الاجتماعية مكاناً بارزاً بين العلوم التي تشتد إليها حاجة الأمم ، مع تزايد درجة وعيها بسنن الله سبحانه في خلقه المادي والبشري جميعاً ، ومع اضطراد رقيها العقلي والخلقي ، وبعدها عن عفوية الفهم ، وتلقائية التصرف.

وإن كنا نقصد بتلك الدراسات ما يتناول الحالة الإنسانية في انفرادها واجتماعها بالبحث والتحليل ، وإظهار ما يعترئها من ظواهر نفسية ، وسنن اجتماعية ، فإن القرآن الكريم قد أحلَّ تلك المباحث

محللاً عالياً ، وأولها رعاية بالغة ، وعالج في محكم آياته العديد من تلك الظواهر ، كما أفصح عن دوام تلك السنن ؛ دل سبحانه على اضطراد سننه العامة المادية والاجتماعية في قوله تعالى: ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) [الأحزاب: ٦٢] ، وعالج حركة النفس الإنسانية حين تواجه خطراً محققاً يكاد يذهلها عن قوام وجودها - الإيمان - حتى لتظن بالله الظنون ، قال تعالى: ((إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا)) [الأحزاب: ١٠] ثم يصف سبحانه حالة النفس المنافقة المخادعة ، وقد واجهت الخوف والفرع: ((أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)) [الأحزاب: ١٩]. ويفصح سبحانه عن اختلاط أصحاب النية الصافية الكاملة التوجه لله سبحانه بمن لا يزال للدنيا نصيب من نفسه ، وإن لم يصادم ذلك الإيمان في معرض بيان أثر ذلك على الدعوة الإسلامية وتقدمها ، منبأً عن ذلك القدر الرفيع من الإيمان الذي يتمحض فيه الخير ، وتتفرد فيه النية لله ، ((حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)) [آل عمران] (١).

ثم كثير كثير من الآيات المحكمات التي يعالج فيها الحق سبحانه تلك الحالات التي تطرأ على النفس أفراداً وجماعات ، ليكون المؤمن على بصيرة من نفسه ، وعلى وعي بمسالكها ودروبها. يقول سيد قطب في الظلال: "وكان القرآن الكريم ينتزل في إبان الابتلاء ، أو بعد انقضائه ، يصور الأحداث ، ويلقي الأضواء على منحنياته وزواياه ، فتتكشف المواقف ، والمشاعر ، والنوايا والضمان ، ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة في النور ، عارية من كل رداء أو ستار ويلمس فيها مواضع التأثير والاستجابة (٢).

ثم السنة الشريفة التي فيها بيان الكتاب وتفصيله ، هي بيان لما بين العبد وربّه ، وبين العبد وأخيه ، وبين العبد ونفسه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم- في سنته القولية والعملية ، وفي سيرته الطاهرة قد مارس أعلى درجات التربية النفسية ، والتوجيه الجماعي لتلك العصبية المؤمنة الأولى ممارسة فعلية وبيانا قولياً بما يصلح أن يكون منهجاً متكاملأً وأساساً ركيناً لما هو موضوع تلك الدراسات الاجتماعية الإنسانية.

وقد تناول عديد من علماء المسلمين وأئمتهم ، في مجالي المباحث الأخلاقية والتربوية ، ما يجب أن يكون عليه المسلم من خلق قويم ، وما يجب أن يتحاشاه من سلوك ذميم ، من خلال التعرض لتلك الصفات الحميدة التي دل عليها الكتاب وفصلتها السنة كالصبر والحلم وكظم الغيظ في مجال المباحث الخلقية ، كالإمام النووي وابن القيم وغيرهما.

كذلك تناثرت في خلال بعض الدراسات التاريخية إشارات للسنن الاجتماعية التي جعلها الله سبحانه قوانين ثابتة تحكم التجمعات البشرية في كل زمان ومكان ، كما يتضح في كتابات ابن تيمية وابن القيم على وجه الخصوص كما ظهرت في العصر الحديث بعض الدراسات التي تناولت الجوانب الخلقية والأصول التربوية الإسلامية وبعض الظواهر الاجتماعية بالبحث والتحليل ، نذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - تلك الدراسات القيمة للأستاذ محمد قطب عن "منهج التربية الإسلامي" والتي تناول فيها ، فيما تناول ، بعض الظواهر المتعارضة في الحياة الاجتماعية ، والتي تتعرض لها النفس الإنسانية بعامة ، في صورة من الصور ، كالفردية والجماعية ، أو السلبية والإيجابية (٣).

وقد أسهم الدكتور محمد أمين المصري ، بدراساته العميقة حول التربية الإسلامية وأغراضها ، وحول دور الفرد والمجتمع في الإسلام ، وسلوك الفرد وأهميته ، في مجموعة محاضراته "المجتمع

الإسلامي" وكتاب "المسؤولية" وغيرهما ، مما هو جدير بأن يكون محل احتفاء ورعاية من المسلمين ، لما فيه من توجيهات فذة ، وتحليلات رائدة. كذلك ما تناوله الأستاذ مالك بن نبي من ظواهر شائعة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، بعد أن تفهقت في سلم الرقي الحضاري كالسطحية ، وذهان السهولة ، وما أشار إليه الأستاذ جودت سعيد في كتابه القيم "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ؛ إلى غير ذلك مما يهم المسلمين اليوم أن يرصدوه في واقعهم وأن يتعاملوا معه تعاملًا واقعيًا مبنياً على معرفة وإحاطة بما يعتمل في النفس الإنسانية من دوافع الخير ونوازع الشر.

ومما لا شك فيه أن الساحة الإسلامية قد ماجت بأحداث جسيمة خلال العقود القليلة الماضية ، وتجاوبت تلك الساحة للأحداث بردود أفعال شتى ، ظهرت من خلال أوضاع لا تغيب عن عقل الباحث المتتبع لمسرح الحياة الإسلامية في تلك الفترة المعاصرة. وكان من نتائج تلك الأحداث وردود أفعالها في واقع المسلمين وحياتهم أن ظهرت معطيات جديدة في الخريطة الاجتماعية للحياة الإسلامية لم تكن من قبل ، كما تعرضت النفس المسلمة - الفردية والجماعية - لمؤثرات لم تتعرض لها من قبل ، ذلك كله قد جعل الحاجة ماسة - أكثر من أي وقت مضى - إلى مزيد الاهتمام بتلك الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، والتي تتناول بالتحليل والملاحظة النفس الإنسانية المسلمة في واقعها الفردي والجماعي ، ومن خلال حالات واقعية محددة بعيدة عن التجريد ، لتصل إلى الأسباب الكامنة وراء تلك الظواهر العديدة التي تجتاح المسلمين وحياتهم ، وتجتالهم عن طريق الحق والتقدم للهدف.

ولنزيد الأمر إيضاحاً فيما يخص تلك الدراسات ، نستعين بضرب المثل - أسوة بالقرآن الكريم - ولنتصور جماعة من العاملين بأحد المصانع ، وقد لاحظ القائمون عليهم ضعفاً وتكاسلاً ، انعكس على قلة الإنتاج ورداءته ، ولمعالجة ذلك القصور كان أن عرض اقتراحان:

أولهما:

أن يبين للعاملين في هذا المجال - من خلال محاضرات وندوات طويلة ومكثفة - ما يجب أن يكون عليه العمل ، وما هي صفات العامل المجد ، وما هي عواقب التكاسل والتراخي ، وما هي مزايا الجد والاجتهاد وفضل الإيثار وعدم الأنانية.. على أن يتم هذا التوجيه سواء بالكلمة المسموعة أو النشرة المكتوبة.

ثانيهما:

أن نتناول بالملاحظة والتحليل تصرفات العاملين في المواقف المختلفة - أفراداً وجماعات - وطبيعة العلاقات بينهم ، وأن تشمل تلك الدراسة طبائع مثل تلك التجمعات مقارنة بمثيلاتها ممن يشترك معها في صفاتها وخصائصها ونزعاتها ، ثم علاقتها بقياداتها التي تدفعها للتكاسل والإحجام ، أو البذل والعطاء ، وما هي وسائل حفز أولئك الأفراد ليكونوا أغزر إنتاجاً ، وأكثر نشاطاً ، وأقل اختلافاً ، وتعارضاً في المصالح كما يشمل البحث الحياة الشخصية للأفراد ، فرداً فرداً ليرى ما يؤثر فيها من مشكلات وصعوبات تنعكس على أدائها بشكل أو بآخر ، وما يوجهها في حركتها من دوافع داخلية مستترة قد تتوافق مع الهدف العام والسياسة النهائية للمصنع أو تتعارض معه ، كذلك تلك العلاقات التي تنشأ بين الناس من حداثة وود وأخوة ، أو عداً وبغض وتحاسد ، والتي يرجع وجود كل منها إلى طبيعة النفس الإنسانية في أساس فطرتها حين تتعارض المصالح أو تتدافع الأهواء ، بحكم ما هو واقع لا يحكم ما يجب أن يكون.

حين تتم هذه الخطة ، وينتهي هذا البحث ، فإنه يمكن أن نزيل ما أمكن من عوائق داخلية تعرقل الاندفاع لتحقيق الهدف والوصول إلى الغاية وزيادة الإنتاج وكفاءته. إذا انتقلنا بذلك المثال من مجال العمل والصناعة إلى مجال النشاط الإنساني عامة ، في اجتماعه لأداء عدد من الأهداف المحددة كمجموعة إنسانية ، أو لتكوين وحدة بشرية تاريخية كمجتمع متكامل ، لاتضح لنا أهمية ما أشرنا إليه من دراسات.

فالحل الأول: يمثل الاتجاه المثالي في حل المشكلات ، وهو الطريق الأسهل. والحل الثاني: يمثل الاتجاه الواقعي التجريبي ، الذي اعتمده القرآن في مواجهة الأحداث أثناء تنزله على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ ليصلح من خلال الحركة الواقعية الحية ، كما يصلح من خلال البيان النظري.

الحل الأول: يمثل حلاً جميلاً يتمناه الناس جميعاً ، ينبني على فرضية أن الناس تتبع أحسن ما يقال لهم ، وأنه بمجرد ظهور الحق ومعرفته ، سينصاع له الكل متحدين متآلفين! وأن النفس الإنسانية حينذاك تكون في قمة الأداء ، لا تشوبها شائبة من طمع أو تحاسد أو مصلحة.. ولكن رصيد ذلك في الواقع قليل..

والحل الثاني. يأخذ في الاعتبار ما أوضحه الله سبحانه في محكم آياته من أن " الإنسان " قد جبل على صفات مشتركة مركزية في أساس فطرته ، قال تعالى: ((إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)) [المعارج: ٧٠] ، وقال تعالى: ((خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)) [الأنبياء: ٣٦] ، وقال تعالى: ((وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)) [النساء: ٢٨] ، والإنسان هو الإنسان.. المسلم يعلو بإنسانيته ، لا فوقها - كما زعمت النصارى حين فرضت على قساوستها ترك الزواج لأجل الله! في زعمهم - ويدافع شهواته وطبائعه فينتصر حيناً ، وله الثواب والفضل لله تعالى ، وينهزم حيناً ، فتم شرعت الحدود والعقوبات للتطهير والتكفير.. ثم عفو الله العميم.. ذلك والمشارك مخلد إلى الأرض قانع بالدون سادر في عينه. فاعتبار تلك الطبائع والفطر -إذن - بالنظر إلى تلك القوانين الكلية التي تحكم حركة المجتمعات الإنسانية عامة ، وأسباب صعودها واندفاعها ، ثم عوامل ضعفها وانهارها إنما هو بمثابة الطريق المرسوم الذي يخطو عليه المسلمون عارفين بدروبه وشعبه ، آمنين مزالقه ومخاطره ، وهو الهادي لهم في تجمعاتهم العامة والخاصة ، الكبيرة والصغيرة ، إذ هي سنن كلية الهيئة لا تتخلف في زمان دون زمان ، ولا تجامل فئة دون فئة.

ولا يظن ظان أن تلك الدراسات مبنوتة الصلة عن العلوم الشرعية ، وأن لا مكان لها فيما يتعلق بالعلم الشرعي! وإنما هي -كما هي- علوم التاريخ والعربية والأصول - علوم خادمة للعلوم الشرعية الأساسية كالتفسير والفقه والحديث ، والتي هي كلها في آخر الأمر إنما تفي بإقامة حياة الناس في الأرض على حسب ما أراد لهم ربهم سبحانه ، فهي تعين على فهم الواقع ، وتساعد على استنباط ما يصلح حياة المسلمين من الأحكام الشرعية ، التي تحكم واقع المجتمعات عامة ، وخلجات النفوس خاصة ، كما تحكم تصرفات الأفراد وقوانين الدول.

وقد تعرضت تلك النوعية من الدراسات في هذا المجال ، والتي ظهرت بشكل مستقل متخصص في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي للكثير من النقد والإعراض.

وكان ذلك النقد والإعراض مبنياً على مبدئين رئيسيين:

أولهما: أن ما يعرف حالياً بالدراسات الاجتماعية والإنسانية ، هو وليد الفكر الغربي ، وحضارة الغرب - بكل ما تحمله من أوزار فكرية - تجعل نتائجها محظوراً ، وإن صلح بعضه ، درءاً للشبهة ،

وبعداً عن مواطن الزلل. كما أن كثيراً من رواد تلك الدراسات في الغرب من الشخصيات المشبوهة التي ينبعث فكرها من خبث فلا تنتج للناس إلى خبثاً.

ثانيهما: أنه - على العكس من ذلك وفي مقابله - يقدم الإسلام لأبنائه ، كمنهج شامل للحياة الإنسانية من لدن حكيم خبير ، تصوراً واضحاً ، وأساساً سليماً يصور الحركة الاجتماعية في سكنها وتطورها ، وفي صعودها وهبوطها ، ويصف الحياة الإنسانية في أدق خلجاتها النفسية من المصادر البشرية ، انحراف عن الصواب ، ونكوص عن الحق ، لا يليق بالطليعة المسلمة التي تنشد أن تكون مناراً وضيئاً يفيء إليه المسلمون من كل حذب و صوب.

وكلا الأمرين حق لا ريب فيه ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية والغربية - في العديد من جوانبها - تختلف عن الإسلام في المصادر والوسائل ، ومن ثم في الأهداف والنتائج.

كذلك فإن الزاد الهائل الذي رصده القرآن - كما أشرنا إليه - ليضع به تصوراً واضحاً لأسس الاجتماع الإنساني على أساس أن "الإنسان" هو خلق الله تعالى ، وتحليل النفس الإنسانية كما هي عليه من ناحية ، وكما ينبغي أن تكون من ناحية أخرى ، لجدير بأن يغترف منه الباحثون ما يقيمون به علماً يوجه حركة المجتمع ، وخلجات النفس إلى الأتمثل والأكمل.

إلا أن ذلك كله لا يمنع من أن يتعرض المسلمون لنتاج الفكر الغربي في هذا المجال دارسين وناقدين ، مصححين أو مزيفين ، بشرط دقة التحري في البحث ، وأن يكون الباحث كالصيرفي الماهر الذي ينقد صحيح الذهب من زائفه ، وأن يكون على علم شرعي يتمكن به من تمييز ما يخالف عقيدة أهل السنة ومنهج نظرهم ، أو يصادم معلوماً من الدين بالضرورة ويهدم أصلاً من أصول الشريعة ، مما هو مشترك بين بني آدم بحكم اتفاق الفطرة ، واتحاد الأصل ، ووحدة السنن ، وبما يتمشى مع توجيهات الله سبحانه للمسلمين بما يحفظ له علو المكانة وشرف المنزلة التي يسود بها سائر المخلوقات.

وإننا لنجد ذلك المنهج جلياً في تلك الدراسة العميقة التي كتبها الدكتور "محمد عبد الله دراز" عن "دستور الأخلاق في القرآن" والتي بحث فيها النظرية الأخلاقية في مباحث الغرب ، بنظر المسلم المتمكن من فهم دينه ، فأقر بالصحيح ، وكشف عن وجه الضعف والخلل ، أو النقص والقصور ، ثم وضع أساساً للدستور الأخلاقي الإسلامي كما أوصت به نصوص الكتاب الكريم بناء على تلك الدراسة المقارنة.

فعلى سبيل المثال ، نجد الباحث في حدود حديثه عن مصادر الإلزام الأخلاقي قد تعرض لكاتبين من كبار مفكري الغرب ، أولهما: هنري برجسون في كتابه "مصدرا الأخلاق والدين" حيث قال عنه دراز: "استطاع الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، في تحليله العميق لقضية الإلزام الأخلاقي أن يكشف له عن مصدرين: أحدهما قوة الضغط الاجتماعي ، والآخر قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية المستمدة من العون الإلهي" (٤).

إلا أنه عقب على ذلك - بعد التحليل - بأن عرض برجسون لا يفي بالمقصود ، بل ويخالف المنحى القرآني في بعض جوانبه ؛ قال: "أما إذا تناولناه - على أنه نظرية في الإلزام الأخلاقي - فإن تحليله يحمل بعض الصعوبات ، وشيئاً من الانحراف عن الجادة ، بالنسبة إلى وجهة النظر القرآنية" (٥). كذلك فقد تعرض لما كتبه المفكر الفرنسي "عمانويل كانت" عن الإلزام الأخلاقي في كتابه "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" فقال: "ولقد أحسن "كانت" صنعاً برغم النقص في طريقة تقديمه لنظريته حين أكد أنه كشف عن مصدر الإلزام الأخلاقي في تلك الملكة العليا في النفس الإنسانية".

ثم أوضح أن ذلك يتفق تماماً - حسب ما يرى- مع النظرة المستخلصة من القرآن في تكوين الإحساس بالخير والشر لدى الإنسان في قوله تعالى: ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)) وتزويدها بالبصيرة الأخلاقية في قوله تعالى: ((بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)) (٦).

ذلك المنهج الذي يتعرض لنتاج الفكر الغربي فيحلل وينقد ، ويصحح ويزيف هو ما أردنا إليه ، إذ تتسع من خلاله آفاق المعرفة ، وتنتفتح المجالات المتعددة التي يجب أن يعني بها المسلمون أكثر من عناية الغربيين فالحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها فهو أحق بها ممن سواه .
إلا أنه يتعين علينا ، قبل أن نمضي في بحثنا قداماً ، ألا ندع مجالاً للبس أو الغموض لدى القارئ في تحديد نوعين من المصادر التي أشرنا إليها آنفاً:

أولهما:

تلك المصادر التي يرجع إليها في تحديد القواعد العامة والقوانين الكلية التي تندرج تحتها تلك الأشكال من العلاقات الاجتماعية والإنسانية ، والتي تستقي منها الإجابات والحلول لشتى المشكلات والأوضاع الواقعية ، ونعني بها: كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وسيرته ثم ما انبنى عليهما من منهاج استقر عليه الصحابة والتابعون ، وتمثل في حياة وسير أعلام الأئمة على مر العصور.

وثانيهما:

تلك المصادر التي يمكن أن تسهم في إثراء مجال التجربة الإنسانية ، في الواقع الحي ، بحيث يشمل نطاق البحث الإسلامي كافة ما يمكن أن يشمل من أوضاع وعلاقات ، سواء نشأت في الواقع الإسلامي ، أو في الواقع الغربي بحكم ما هو مشترك بينهما في الصفات الإنسانية العامة.

فالمصادر الأولى:

هي مصادر الحلول والهداية ، إلى جانب التجربة الواقعية.

والمصادر الثانية:

هي مصادر تغني مجال التجربة ، وإن تقيدت في نتائجها النهائية وتحليلاتها بمعطيات المنهج الإسلامي لتوائم الواقع الإسلامي الذي تُطبق عليه.

ولا بأس - إذا وصلنا إلى ذلك القدر من البحث - أن نعرض لمثالين من إسهامات باحثي الغرب في المجال الذي أشرنا إلى أهميته في بحثنا ، مما نجده صالحاً للاستعانة به في فهم مجال تلك الدراسات المطلوبة وتحديد منهاجها ومجالها.

أول تلك الدراسات لأحد العلماء الألمان وهو "ماكس فيبر" ١٨٦٤ - ١٩٢٠ حيث ذكر خلال تحليله القيم للبناءات الاقتصادية الكبرى ، وما يرتبط بها من عوامل اجتماعية ، تؤخذ في الحسبان لتؤتي تلك البناءات ثمارها ، إلى أن المجموعات البشرية - بشكل عام - حين تعمل لهدف من الأهداف بشكل جماعي ، فإنها تمر بأطوار محددة لا تكاد تختلف -حسب ما ذهب إليه الكاتب- في حالة المجموعات الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

أولها: سلطة الزعيم أو البطل الموهوب: الذي يقوم العمل على أكتافه وبمواهبه الذاتية وقدراته الشخصية ، التي عادة ما تكون قدرات فائقة ، وفي هذه المرحلة يكتفي الاتباع بترسم خطى الزعيم واتخاذ أقواله منهجاً وأفعاله معلماً ، وغالباً ما تتعدم روح النقد وتندر روح الابتكار في تلك المرحلة للثقة في الزعيم المؤسس ، ويكون الولاء مقدماً على الكفاءة ، من حيث أن الحاجة إليه في إحكام الترابط أشد من الحاجة إليها ، وقد استغنى عنها بمواهب الزعيم.

الثانية: وهي التي تنشأ حين اختفاء الزعيم المؤسس لسبب من الأسباب ، وفيها تتجه المؤسسة إلى أحد شكلين من أشكال التعامل والتعارف.

أولهما: التقليد أو التقليدية:

وفيها تجري الأمور على ما قرر ذلك الزعيم دون تغيير أو تعديل ، كما يقل التجديد ولا يتوقع أن ينشأ زعيم من طراز المؤسس ، بل حتى إن نشأ فإنه عادة لا يلاقي قبولاً كافياً لمنحه سلطة العمل المطلق ولا يندفع العمل للأمام إلا بقدر طاقة القصور الذاتي ، المخزونة فيه من المرحلة الأولى.

ثانيهما: التنظيمية العقلية:

وفيها تنحو المؤسسة منحى التنظيم المبني على التخطيط والعقل وإعطاء كل مشارك دوراً فعالاً ، دون ادعاء لوراثة الزعيم المؤسس من أحد أتباعه ، أو لضرورة تقليد خطواته كما رسمها ، وتكون الحركة على أساس تقييم صحة العمل ونتائجه لا على أساس نسبته لما قرره المؤسس. وعلى أساس الخط الذي تختاره المؤسسة - في المرحلة الثانية - من هذين الاتجاهين يكون مدى نجاحها أو إخفاقها في الوصول لهدفها المحدد(٧).

وما سبق هو عرض محض - بما يناسب الواقع الإسلامي - لما ذكره العالم الألماني ، يلحظ فيه قوة الملاحظة ، واستقراء الواقع ، مع محاولة استنباط السنن العامة التي تربط الحوادث الاجتماعية برباط واحد ، وتخضعها لقانون عام ، حتى يمكن تعرية آثارها والاستفادة منها فيما شابه تلك الحالات بأن ظاهرة العمل الجماعي ، كما وصفت في تلك الدراسة ، هي ظاهرة اجتماعية عامة ، تنشأ - عادة - حول نواة ديناميكية متحركة تجتذب حولها - حسب قوة جاذبيتها الخاصة-العديد من الوحدات العاملة ، لتدور في فلكتها ، وتتغذى بحرارتها ، وتهتدي بمسارها ، ثم لا تلبث تلك النواة أن تختفي لسبب أو لآخر ، فماذا يكون مصير تلك الوحدات العاملة ؟ وهل ينفطر عقدها ويتناثر جمعها ؟! الاستقراء الذي تدفعه تلك الدراسة قد دل على طريقتين: أحدهما يخضع لذلك التقليد المقوت الذي يجعل التابع أقرب للألة منه للإنسان ، فلا يصح عنده إلا ما كان ولا مكان لجديد تحت الشمس ! وما كان البطل الموهوب ليخطئ ، بل وما كانت الظروف التي لا بست وجوده وعمله لتتغير بما يستدعي إعادة النظر في منهج عمله ، وإن ظل الهدف ثابتاً.. إلى آخر تلك الظواهر التي هي إلى خواص النفس المريضة أقرب من النفس المخلصة.

والطريق الآخر يرجع -في حقيقة أمره - إلى دقة المؤسس الأول في رسم الخطوات التالية التي تضمن مسيرة المؤسسة للأكمل ، كما يتأثر بمدى عمق الفهم وسعة الأفق واستيعاب المنهج لدى الصف الثاني من العاملين ، حين تغير الظروف وتبدل الأحوال ، فتنشأ حينئذ التخصصات ، وتنمي المواهب ، ويترك المجال مفتوحاً لكل اجتهاد يدفع عجلة التقدم ، وتتسع الصدور للنقد البناء ، وتتساقط دعاوى العصمة.

إلا أنه من الضروري الإشارة إلى قصور تلك الدراسة عن أن تشمل ذلك النمط الخاص الذي تفرد به أنبياء الله -صلوات الله عليهم- ، فإن إطلاق ذلك التصور على كافة ما يطرأ على الاجتماع الإنساني في كل المجالات كما صور الباحث تجوز لم لا يصح ، إنما منشؤه عدم إدراكه لمعنى النبوة ودورها ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، الذين هم أقطاب البشرية التي دارت حولها تجمعات إنسانية هائلة ، واهتدى بهديهم البشر في كل زمان ومكان ، لا يخضعون لذلك التحليل ، إذ إنهم سادة المرابين الذين أحسنوا توجيهه الانتباع إلى خيري الدنيا والآخرة.

وثاني تلك الدراسة يختص بدراسة تصرفات الأفراد حين يعملون بشكل جماعي لتحقيق هدف من الأهداف ، خلاف الأولى التي عنيت بشكل وتطور المجموعة البشرية كمؤسسة جماعية لا بأفرادها

داخل تلك المؤسسة ، وقد أوضح صاحبها وهو العالم الأمريكي "توم يرنز" أن نشاط الأفراد يتجه داخل المؤسسات الجماعية-أيا كانت طبيعتها وهدفها - إلى ثلاثة أشكال:

الأول - النشاط التعاوني:

ويعني أن الأفراد تنزع فيما بينها-وقد اجتمعت على هدف من الأهداف - إلى أن تتعاون لتحقيق ذلك الهدف ، إذ هي تدرك بالفطرة أن قواها الذاتية منفردة لا تقوى على تحقيق الهدف إن لم تتضاف بعضها إلى بعض.

الثاني - الاتجاه التنافسي:

وهو يعني أن الأفراد حين يعملون بشكل جماعي ، وبرغم ضرورة التعاون التي يدركونها فيما بينهم ، فانهم ينزعون -كأفراد أو كمجموعات -إلى التنافس على تحصيل أكبر قدر من الإمكانيات المتاحة داخل تلك المؤسسة لصالح فرد من أفرادها أو مجموعة من مجموعاتها على السواء.

الثالث - التعامل السياسي:

ولا يعني مصطلح السياسة في هذا المجال ما يتبادر إلى الذهن مما هو معروف من معاني السياسة الدولية الخارجية أو الداخلية ، إنما يعني - بإيجاز - استخدام تلك الأساليب غير المباشرة التي يلجأ إليها الفرد - أو الجماعة - في ظروف خاصة ، لتحقيق هدف معين ، مثال ذلك من يحاول إبراز قيمة عمله الشخصي ، وأهميته بالنسبة للصالح العام للمؤسسة ، وكم يلاقي من متاعب في سبيل إنجازه ، حتى يصل إلى هدف خاص -قد يكون مشروعاً في غالب الأحيان - كتنشيط وجوده داخل تلك المؤسسة ، أو اكتساب قدر أكبر من الأهمية يمهد به لكسب معنوي أو مادي (٨).

ومع التأكيد على أمرين:

أولهما: خطر التعميمات والإطلاقات التي تطلقها تلك الدراسات على نتائجها واستقراراتها. والثاني: أن تلك الدراسة إنما كانت مادتها التي استمدت منها مشاهداتها، هي الجماعات الأوربية - أو الغربية على الأصح - التي تتميز بثقافة خاصة لها جذور نفسية معينة ، كما أن لها وسائلها الخاصة في النظر للأهداف والوسائل على حد سواء. إلا أنه لا يمكن القول بأن تلك الدراسة وإن كانت تتناول مجالاً معيناً من مجالات الاجتماع الإنساني في سبيل تحقيق أهداف مشتركة ، إلا أنها في حقيقتها وصف لذلك التدافع الذاتي الذي أقام عليه الله سبحانه أمر الدنيا والناس ، وهي صورة العلاقات البشرية المعقدة التي تحتاج إلى تشريح وتفصيل في كل دقائقها ، ليتمكن الناس من نهج ما يصدر عنهم وعن غيرهم -أفراداً وقيادات - في مختلف المواقف والحالات.

ولاشك أن تحليل تلك القوى العاملة -على السطح وتحتة - في المجتمعات الإنسانية يعطي تصوراً للمسلمين ، يمكنهم من تقوية مجتمعاتهم وتحديد القوى السالبة التي تدفعهم للوراء ، وتقليل آثارها ما أمكن.

فالتركيز على فهم سنة "الاتحاد" وضرورته كبديل وحيد للوصول إلى الغاية المنشودة إنما يتأتى بإبراز ذلك النوع الأول من النشاط التعاوني وتقوية الشعور به وتنميته. كذلك فإن الحد من آثار ذلك الاتجاه التنافسي ، أو تحويل قوته الدافعة إلى قوة مفيدة للعمل بدلاً من أن يكون سبباً للتحدي بين الأفراد، والمنافسة الذميمة بينهم، أو مجالاً لاختيارات القوى التي يظهر فيها ضعف النفوس ، وصغر الاهتمامات ، لهو هدف من الأهداف التي تستحق أن يبذل فيها الباحثون جهودهم للوصول إلى كافة تفصيلاته التي يمكن أن يبرز فيها في مختلف المجالات.

كما أن إدراك السبل والوسائل التي يتخذها الناس للوصول إلى أغراضهم - وإن كانت مشروعة - لهو ضرورة حتمية يحتاجها الدعاة إلى الله ليكونوا على بصيرة في تعاملاتهم ، إذ إنه مما لا شك فيه أن الوصول للغرض بشكل مباشر مستقيم قد يكون أقصر طريق وأوضحه ، إلا أنه يمنع منه موانع كالحذر من سوء فهم الآخرين ، أو الحرص على عدم تجاوز حد معين في العلاقات ، أو غير ذلك.. ومحاولة تقليل آثار تلك الممارسة السياسية في العلاقات - إلا فيما تصلح له - أنفع للمجتمع الإسلامي ، والنفس المسلمة وإن كانت في حالة إيمانها أرفع مما يدركه ذلك العالم الإنكليزي ، إلا أنها لا تسلم من أن تتعرض لتلك النوازع البشرية العامة خيرها وشرها .

من هنا تنشأ أهمية توجيه الهمة إلى تحليل تلك العلاقات والنوازع التي تنشأ من ضرورة التعاون أولاً ، ومن طبيعة النفس ثانياً ، ثم من سنن الاجتماع ونتائجه أخيراً .

ونحن لا نقصد في هذا المقال إلى استقصاء مثل تلك الدراسات ، أو بسط ما فيها بالشرح والنقد ، وإنما قصدنا إلى أن نؤكد على ضرورة أن نولي هذه النوعية من البحث مزيداً من الاهتمام ، وأن تبني على هدى القرآن والسنة ، ومراجعة ما أفرزته العقول البشرية في هذا المضمار ، كما ضربنا أمثلة من ذلك التناول ومنهجه ، لما يمكن أن يكون مجالاً للبحث والتحليل في التركيبة الإسلامية الاجتماعية المعاصرة .

ولعل الله سبحانه أن يلهمنا الصواب في القول والعمل جميعاً .

الهوامش:

- ١- انظر ابن كثير ١ / ٤٢٢ ، و: في ظلال القرآن ١ / ٤٩٤
- ٢- في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٣١
- ٣- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٢ وبعدها .
- ٤- دستور الأخلاق في القرآن لدراز / ٢٣ .
- ٥- المصدر السابق / ٢٤ ،
- ٦- المصدر السابق / ٢٥ - ٢٧ ،

٧- Weber, Max. The theory of economic and social organization, and 392, - 341 P Organizations on Writers D.S

٨- كذلك يمكن الرجوع إلى مصادر أخرى لهذا الموضوع مثل:

of .Psychology .pfeffer , Politics and Power organizations on Writers D.s. Pugh, Influence,p.pulou. Group.